ياسمين بعطوش

رواية

أشباه بشر

دار قصص وحكايات للنشر الإلكتروني ٢٠١٩

أشباه بشر

رواية

ياسمين بعطوش

دار قصص وحكايات للنشر الإلكتروني

البريد الإلكتروني

kesasandhekayatpub@gmail.com

موقع الدار

https://kesasandhekayatpub.blogspot.com/

للتواصل عبر ماسنجر صفحة الدار

m.me/kesasandhekayat

فريق عمل الدار

أ. رمضان سلمي برقي

أ. حسن كشاف

أ. هشام وهبي

العنوان: أشباه بشر

النوع الأدبي: رواية

المؤلف: ياسمين بعطوش

المُدقق اللُغوي: الكاتب بنفسه

اللغة: فصحى

التنسيق الداخلي والإخراج: فريق الدار

تصميم الغُلاف: فريق الدار

سنة النشر: 2019

الحالة: حصريًا

رقم الطبعة: 1

رقم الكتاب بالدار: 21

تم النشر بواسطة دار قصص وحكايات للنشر الإلكتروني2019

الدار غير مسؤولة عن أفكار الكُتّاب الواردة بإبداعاتهم؛ الكُتّاب وحدهم المسؤولون عنها.

الموقع الصفحة الجروب

الفهرست

الفصل صفر! ٦

الفصل الأول: قاتل المطر ٩

الفصل الثاني: أول خيط..... ٢٦

الفصل الثالث: مفاجأة ٤٦

الفصل الرابع: بداية اللعبة ٦٩

الفصل الخامس: أول جولة ٨٢

الفصل السادس:سقوط القناع..... ١٠٩

الفصل السابع: قصة صداقة ١٢٥

الفصل الثامن: النهاية ١٦٨

نبذة عن المؤلفة ١٧٣

الفصل صفر!

١٥ جانفي ٢٠٠٩

كانت المدينة تعيش حالة من الفراغ؛ لم تكن لتلمح أي كيان يحمل روحًا يتجوّل في الطرقات، ما يتسلَّل للأذان؛ كان صوت قبلات جامحة لزخات المطر التي لم ترض أخذ و لو قسط راحة بالأرضيّة الإسمنتية، و بين الفينة والأخرى تهب رياح عازمة وحيدة تأخذ كل ما هو غير ثابت.

في هذا الجو تقتضي العادة على التلحُّف بغطاء قرب مدفئة بكف محتضنة لشراب ساخن و تبادل الحديث مع العائلة، أو قد يفضل أحدهم مطالعة كتاب، لكن لكل قاعدة شواذ. لذا و في تلك الليلة توارى بين الظلام و الفراغ جسد شاب كساه السواد من رأسه لأخمص قدميه و قد بدت بعض الخصلات الشقراء المتمردة خلف قلنسوته التي كست رأسه، يداه ضمتا إلى جيوب بنطاله و راح يسير مطأطأ الرأس دون حتى تكبد عناء الاحتماء تحت أحد ناصيات المحلات. دواخله قد أهلكت حتى ما عاد مهتما بالبلل الذي أصابه. الفراغ و اليأس نهشاه كوحش كاسر اتخذه فريسة و فضل أخذه على قضمات متفاوتة بطيئة، ذراعه لم تعد تحتمل الاستناد و لو على كرسي

بقارعة الطريق، الشيء الوحيد الذي وثق به كون أي ما يسند ثقله إليه سيرديه طريحا مهما كانت صلابته.

عيناه كساهما الفراغ و حتى الوجوه لم تعد بالمميزة، كلها متشابهة أو غير ظاهرة تماما لتشابه نفاق الكل، لم يعد قادرا على إنجاز شيء كلما خطى خطوة يدفع به بأقسى الطرق عشرا للوراء. لشدة تعفن دواخله لم تعد المشاعر بالشيء المفهوم حتى بالنسبة للتي تخصه، كيف لا و هو الذي لم يكن لإطلاق العنان لها طوال حياته بالشيء المسموح، لم تتقوس شفاهه في ابتسامة و لا ذرفت عينه دمعة.

ترددت في عقله لأكثر من مرة فكرة إقصاء نفسه من هذا العالم لكنها لا تلبث و تندثر بنفس سرعة تشكلها،على قدر تعفن وجوده فقد كان الكل على قدر أكبر من النتانة، فكرة كونه رحل تاركا إياهم يسخرون عند قبره كانت أكثر فكرة يمقت تواجدها. لذا و طوال سنوات حياته البائسة جاهد للإبقاء على أنفاسه، قاتل الجوع و العطش لليالي طويلة. كما لم يحبط عزيمته الضرب الذي أرداه فاقدا الوعي أيام، تحول إلى حشرة لن تموت ما لم يسحق رأسها.

و في غياهب ظلمات فكره ظهرت شعلة جمدت أطرافه لفترة،كان منظرا مستبعدا في ليلة كتلك و التي كان يتوق لها للحصول على المدينة لنفسه، أمامه امتثل جسدان، لم يهم جنسهما فقد كانت آخر أولوياته ومما بدا أنهما في مشاحنة. تصنم مكانه محدقا

بهما. لم يلبث أن استرعى انتباههما، تحرك أحدهما نحوه يحرك ثغره بحروف عجز عن تمييزها. لكن بصره كان مصوبا نحو ما تحتضنه أصابع الكتلة الناطقة أمامه و بطرفة عين كانت الأداة اللامعة بين يديه يقلبها بانبهار. هاج القابع قبالته و ماج هاما بالانقضاض عليه. لكن القطعة اللامعة كانت قد اخترقت عنقه الذي لم ينفك يحرر كلمات مبهمة، و انساب سائل دافئ تطاير بعضه على وجهه، أدهشه منظر اختلاطه بزخات المطر و دفئه مقارنة ببشرته دائمة البرودة، و في لحظات كان المتنازع الثاني مستلقيا بجانب شريكه بعد أن مرر القطعة اللامعة ببطء على عنقه الذي لم ينفك يطلق الشتائم.

و هناك وقف هو، محدقا بالعمل الفني الذي سبب قشعريرة نشوة تغزو جسده، كانت أول مرة يختبر فيها شعورا مماثلا، الابتسامة عرفت طريقها نحو ثغره لأول مرة، و تلك كانت بداية جديدة.

الفصل الأول: قاتل المطر

٢٦فبراير ٢٠١٧

لمدة ثلاثة أشهر كانت الأخبار نفسها تتناقل على الألسنة. بعد تحية الصباح، خلال استراحة الغداء، في الأسواق و حتى في السهرات، لم يسلم حتى الأطفال من تلك الكلمات. كان هذا الوضع طبيعيا في ظل الظروف التي عاشتها مدينة بوسان الواقعة جنوبي كوريا الجنوبية. فعلى مدار ثلاثة أشهر و منذ أول هطول للأمطار كانت الأرضية تخلف بعد جفافها جثة أحد سكانها. جثة نظيفة تبدوا و كأنها الفتاة من قصة بائعة الكبريت لولا النحر في عنقها، و بجانبها ملابس الجثة المتسخة بالدماء بعد أن ألبست غيرها نظيفة.

طوال تلك الفترة لم تفلح الشرطة في إيجاد و لو ربع دليل عن الفاعل. استمرت الشرطة بالتصريح بعد كل جثة تظهر أن التحقيق في تقدم و أنهم سيتوصلون للفاعل قريبا في محاولات بائسة لخلق بعض الهدوء في الأرجاء، إلا أن العامة فقدت الثقة بهم بعد الجثة الخامسة. لم يعد لأحد الثقة في المشي وحيدا بعد تواري ضوء النهار.

بعد اجتماع دام ما يقرب الثلاث ساعات في دائرة التحقيق الرئيسية بالعاصمة سيول حول الوضع قضت النتائج بطلب الدعم، لذا فقد أرسلت رسالة مستعجلة نحو مقر التحقيقات في كندا. حيث يعيش أحد أقارب رئيس قسم التحقيقات في بوسان و الذي سبق و أن حدثه عن أحد المحققين الأكفاء لديه.

***

١ مارس ٢٠١٧

١٠:١٥ صباحا.

مطار انتشون الدولي.

انطلق وفد المسافرين القادمين من الولايات المتحدة الأمريكية عبر بوابات المطار و نقاط التفتيش النهائية وصولا لبوابة الخروج، و من بين المنسلين منها كان هناك شاب يقف وسط الأجساد المتدافعة و بصره ينتقل عبر المكان. كان ذا شعر كحلي لامع طال حتى نهاية أذنيه و يعتمر قبعة و نظارة شمسية، بشرة حنطية و طول معتدل بجسد بدا رياضيا يكسوه بنطال من الجينز الأسود وقميص بنفس اللون، هيئة عادية لشاب تجاوز منتصف العشرينيات.

–سيد جون ستيف؟

تسلل صوت من خلفه يتساءل حوله، استدار المدعو مجيبا النداء، أزال نظارته لتظهر زرقة عينيه.

–أجل أنا جون ستيف. و أنت تكون..؟

بدا الرجل الذي ناداه في نهاية الثلاثينات أو بداية الأربعينات بنفس طول المدعو جون، بشرة بسمرة خفيفة، عينان ضيقتان بنيتان و شعر أسود كثيف من دون شيب (لهيئة المعتادة و المعروفة للآسيويين) مد يده مصافحا جون بعد أن انحنى بخفة – التحية الكورية – و راح يحاول التعريف بنفسه بانجليزية مشوهة. لم يجد جون نفسه إلا مقهقها أمامها و مردفا بلغة البلد الذي يطؤه:

–يمكنك الحديث براحة يا سيد أنا أجيد الكورية.

ابتسم الرجل كمن انزاح حمل جبال عن كاهله و رد:

– هذا مريح، أدعى كيم هيوك من قسم تحقيقات بوسان. حضرت لاصطحابك بأمر من رئيس القسم، في الواقع لا نرغب بالإثقال عليك بعد رحلتك الطويلة لذا لتستريح أولا و نبدأ العمل من الغد.

أردف جون جارا حقائبه تابعا هيوك خارج المطار:

_سأكون ممتنا، لكن سأحرص على تفقد المستندات و ملف القضية ثانية قبل الاجتماع بالفريق غدا.

صعدا السيارة و انطلقا دون تأخير. انشغل جون بالتحديق من النافذة. الطريق سالكة و الأشجار موزعة على جانبيها و رغم البيئة الصناعية البحتة التي يتسم بها البلد إلا أن الهواء منعش، حدث نفسه بصوت لم ينتبه على علوه:

_ كان عليهم إعلامي مسبقا لم أكن لأغادر...

–أرجوا المعذرة؟ تساءل هيوك.

–في الواقع لم تمضي فترة منذ كنت بكوريا ربما أربعة أيام، أحب قضاء عطلتي السنوية هنا. لو علمت مسبقا أنني سأتولى عملا هنا لما تكبدت عناء العودة. أجاب بينما ينتشل هاتفه ليقوم بتغيير الشريحة.

–اه لهذا تجيد اللغة، لا شك أنك معتاد على المكان إذن.

–هذا ليس السبب الوحيد. والدتي كورية الأصل و قد عشت هنا في طفولتي. أظن هذا أحد الأسباب لتوكيلي بهذه القضية –صمت لوهلة ثم تابع كمن تذكر شيئا ناقصا– قد أبدوا قليل الخبرة و طائشا بعض الشيء لذا أرجوا أن تقوم بتنبيهي إذا ما غفلت عن شيء ما.

***

١ مارس ٢٠١٧ ٢٣:٣٠

في الشقة المؤثثة التي خصصت له و التي كانت الشيء الوحيد الذي تطلب بشأنه، فكون بوسان مدينة ساحلية هو رغب بأن يكون منظر البحر أول ما يقابل ناظريه بمجرد فتح الستائر و عليله ليكون عطرا يداوي به إرهاقه. كانت الشقة بسيطة تتناسب و حاجيات شاب يعيش وحيدا، غرفة وحيدة بسرير لشخصين فلطالما لم يرتح جون ما لم تكن مساحة نومه واسعة. نافذة تطل على المنظر المرغوب به و خزانة تتوسط الجدار الأيمن. غرفة المعيشة أثثت بأريكة لثلاث أشخاص و على جانبيها أريكتان لشخص واحد تتوسطهما طاولة زجاجية و يقابلها التلفاز، بالإضافة لمطبخ صغير و حمام في زاوية الشقة.

موضع جون كوب قهوته الفارغ في المكان الوحيد الشاغر على طاولة غرفة المعيشة التي غطتها أوراق القضية. أبعدها بإهمال ثم رتب أمامه صور المغدورين الخمس، حدق بكل منها لفترة يمسح كل شبر بدقة. حدق بالرأس و الشعر، بالعينين و الشفاه و الأنف و الأذن، بالرقبة و الجرح النظيف الذي يطالها، ختاما بالملابس النظيفة التي تكسوا الجثة الحافية القدمين.

التقط ملفات الضحايا وراح يعيد قراءتها للمرة الرابعة، لكن مهما حاول التعمق و التركيز في كل تفصيل فلا شيء جديد. جميع الضحايا مواطنون عاديون بأعمار و صفات مختلفة. لم يبدوا أن القاتل يتبع نمطا معينا في اختيار ضحاياه، هو يبدوا كقاتل متسلسل و في نفس الوقت لا تظهر عليه أي من صفاته.

تنهد المحقق الشاب مدلكا صدغيه، لم يعد للقهوة أي تأثير عليه و لو احتسى لترا منها لذا فقد جمع مستنداته و رتبها على الطاولة بعد أن قرر اكتفاءه من هذا اليوم.

***

٢ مارس ٢٠١٧

٧:٥٠ _ مركز تحقيقات بوسان.

وقف جون برفقة هيوك أمام باب مكتب رئيس القسم و بعد طرقه ثلاثا سمعا إذن الدخول. وقف الرئيس بارك جونسوك مرحبا _ و الذي كان رجلا على أعتاب الستين غزى الشيب رأسه و قوامه اكتسب بعض الدهون ببذلة سوداء_ كان شخصا مخضرما لم تصعب عليه قضية في شبابه ما جعله يترقى بسرعة ليشغل منصبه الحالي. و قد حافظ عليه لما يقارب العشر سنوات بعد شعوره بالراحة أخيرا دون أي رغبة في ترقية أخرى. حاليا لا تفصله سوى سنوات معدودات عن التقاعد.

بعد كم من المجاملات و العبارات الترحيبية الرسمية اتخذ الثلاثة مقاعدهم للشروع في المناقشات الجادة.

لم يخب ظن جون عند اعتقاده بأن قسم التحقيقات الأمريكي لم يستلم جل المعلومات المحيطة بالقضية، و قد تعللوا بعدم كونهم متأكدين أن الدولة الأجنبية ستقبل مساعدتهم و غيرها من الأعذار التي وجدها واهية و فضل عدم التركيز بها.

_نظن أن أول ظهور للسفاح أول مرة كان منذ ثماني سنوات _صرح الرئيس جونسوك بجدية_ في صبيحة السادس عشر من جانفي عام ٢٠٠٩ تم العثور على جثة لرجلين بجانب بعضهما في نفس الزقاق وقد نحر عنقهما بسكين، في تلك الليلة عايشت المدينة عاصفة شديدة والأمطار استمرت بالهطول دون توقف لذا فقد كانت الجثتان نظيفتان و كل الأدلة تم محوها. بعدها لم تظهر أي حوادث مشابهة لذا فقد كان الإمساك بالفاعل مستحيلا و بمرور الوقت تم نسيان الجريمة. لكن منذ ثلاثة أشهر و مع أول هطول للأمطار ظهرت جثة لرجل في منصف الأربعينيات، لم يكن صعبا ملاحظة الشبه بين القضيتين فقد كنت المسؤول عن التحقيق في الحادثة قبل ثمان سنوات، ثم راحت تتوالى الجثث بنفس الطريقة. كان هناك اختلافات في بعض التفاصيل الصغيرة لكن هذا لم يدل إلا على تطور الفاعل، أعتذر على عدم تزويدكم

بكامل المعلومات لكنك تعرف طبيعة العمل هناك ما لا يجب على غير المسؤول عن التحقيق معرفته.

أخذ الرئيس نفسا عميقا و زفره. أصبح الحديث المطول يرهقة و لو لم ينتبه لنفسه لكان لعابه قد تطاير على جوانب شفاهه بسبب طقم الأسنان الذي لم يعتد عليه رغم طول المدة التي صاحبه فيها، أخذ كوب المياه الذي بجانبه و راح يتجرعه في حين استلم المحقق هيوك المسؤول عن القضية الخط و تابع الحديث:

_ بعد الضحية الثانية وصلتنا رسالة بخط يد متعرج.

فتح هيوك الملف الذي كان يحمله منذ التقائه بجون صباحا و مد أمامه ظرفها أصفرا انتشله منه و الذي استلمه الأجنبي و أخرج منه ورقة دفتر ممزقة بإهمال، راحت مقلتاه تتجولان عبر الحروف المطبوعة عليها " هل تظنون الإمساك بي سيحقق العدالة؟ لو كانت عدالتكم محققة لما احتجتُ لتكبد كل هذا العناء".

شخر جون بسخرية واضحة معيدا الظرف لهيوك.

_ليست لغزا لنحله و إنما مجرد تبرير طفولي ليقول أنه على حق و نحن المخطئون..

_هذا ما يبدوا عليه الوضع _رد هيوك_ هذه كل المعلومات التي لدينا حاليا نأمل أن تكون قادرا على ملاحظة بعم مما غفلنا عنه.

***

محتضنا كوبا من الأمريكانو الدافئ ألقى المحقق الأجنبي بنفسه على إحدى كراسي المقهى المجاورة للنافذة و المطلة على الشارع الرئيسي المكتظ. تتلاحق الخطوات و تتسارع الأنفاس، كل يركض خلف مشاغله و كأنه لا وجود للغد، أو بالأحرى لتفكيرهم الدائم بوجود الغد. مهما اختلفت الأجناس و اللغات فسبل العيش واحدة _العمل بجد اليوم لأجل مستقبل أفضل_ الجميع يفكر في اللحظة القادمة ولا يعبأ بالتي هو فيها و هذا لتفكيره الدائم أنه لا يزال أمامه وقت كافي. ثم يأتي القدر ليفاجئه أنه وقته شارف على الانتهاء وأن كل ما بقي أمامه هو البكاء والحسرة على ما فات.

شخص جون بصره نحو السماء. رغم أن الساعة تقرب العاشرة صباحا إلا أن ضوء الشمس لا يكاد يلمح و السحب الرمادية تحجب الزرقة تماما منذرة بهطول قريب للأمطار. لم يعد لهذا الجو أي دلالة حسنة منذ ثلاثة أشهر. تنهد المحقق الشاب مرتشفا قهوته ثم أخرج حاسبه المحمول و موضعه على الطاولة أمامه و قد اعتزم التحقيق في القضية من البداية، و كأنه يشهدها لأول مرة لذا فقد كانت أول خطواته مراجعة ملف أول ضحية.

كانت امرأة في منتصف الثلاثينيات بشعر أسود قصير، بشرة بيضاء و قوام نحيل و موظفة في شركة للإعلانات. زوجة لرجل يكبرها بأربع سنوات وأم لطفلين _فتى في الخامسة عشر و فتاة في الثالثة عشر_ مهما طالع ملفها فلا شيء ملفت عدى عن كونها أما عاملة عادية، عندها حزم أغراضه و حملها بيمناه بينما ثم أعاد تعبأة كوبه و غادر.

لم يتوقع أن يكون المكان قريبا لهذا الحد فلم يستغرق منه غير نصف ساعة. ترجل من سيارته و حدق بمبنى الشقق الفاخر أمامه و الذي لم يبدوا أن له نهاية، اختلس النظر للسماء و التي غدت غائمة أكثر. تنهد متجها نحو بوابة المبنى.

الطابق الرابع الباب رقم ٣٥٦ تلك كانت وجهته و التي آوت السيدة المغدورة يوما ما. و بأخذ الوقت بعين الاعتبار فقد كان المنزل خاليا _كون الزوج في العمل و الأطفال في المدرسة _ لذا فقد غير وجهته نحو المنزل المجاور، أظهر هويته بمجرد الانفراج الحذر و البطيء للباب و الذي أطلت منه سيدة أربعينية مبتسما بود طالبا بعضا من وقتها.

***

بعد قضاء ما يقرب الساعتين في منزل الجارة غادر و الرضا بملء قلبه و محددا مسبقا وجهته التالية. لذا و تماما في موعد بداية استراحة الغداء في المدارس كان

المحقق الشاب يتجاوز بوابة مدرسة ابني السيدة المغدورة. لم يكن من السهل جعل الأمر يبدوا عاديا فتواجد أجنبي بعينين زرقاوين في المدرسة كان كافيا لجعل الأنظار تلاحقهم، و مع هذا فقد أظهر شارته للمسؤولين و طلب غرفة فارغة بعد أن قرر مقابلتهما على حدا.

جلست الفتاة ذات الثالثة عشرة بعد إلقاء التحية و راحت تحدق بفضول بالمحقق و الذي بادلها بابتسامة بسيطة مطمئنة، و ابتدأ حديثه :

_سأحاول أن أكون سريعا حتى لا نضيع كل وقت غدائك. هل يمكننا الحديث عن والدتك قليلا؟

_هل أنت محقق جديد لهذه القضية؟ أفصحت الطفلة _ لقد قلت بالفعل كل ما لدي لمن أتى قبلك.

_لا بأس لدي أفضل سماع الحديث منك. إذن كيف كانت والدتك في أيامها الأخيرة ؟

_لا شيء غريب كانت على عادتها. عادة ما أقوم أنا أو أخي بتحضير العشاء بما أنها غالبا ما تعود متأخرة من العمل. لكن في أحد الأيام عادت أبكر بكثير من المعتاد و حبست نفسها في غرفتها، لكنني سمعتها تتحدث على الهاتف قائلة أنها شعرت

بأحدهم يتبعها لكن يبدوا أن الطرف الآخر مهتم و الذي اتضح أنه والدي لذا فقد ثارت غاضبة. بعدها بأسبوع وقعت الحادثة.

_هذا مطابق لما دُون في الملف، إذا كيف الجو العام في منزلكم؟

قطبت الفتاة حاجبيها بعدم فهم و قالت:

_أظن أن لا علاقة لهذا بالقضية؟

_ جوابك سيحدد إن كان له علاقة أم لا لذا يفضل أن تجيبي بمصداقية.

فركت الفتاة كفيها و أجابت ببعض الريبة:

_حسنا أنا و أخي مقربان بما أننا نقضي معظم الوقت معا بالبيت لكننا لسنا متفتحين على والدينا كثيرا_صمتت لفترة. تنهدت و تابعت_ أبي يملك العديد من رحلات العمل لذا لا يتواجد بالبيت غالبا و أمي تعاني من ضغوطات في العمل كذلك لذلك نحاول تجنبها عندما تكون منزعجة.

ابتسم المحقق شاكرا تعاونها منهيا اللقاء. انحت الفتاة بخفة و راحت تحذوا صوب الباب، إلا أن صوته عاد ليوقفها متسائلا:

_لحظة من فضلك. كيف حصلتي على تلك الكدمات؟

لم يغفل جون عن الجفلة التي أبدتها إبان سؤاله لكنها أجابت ببساطة كونها سقطت من السلالم منذ فترة و الكدمات لم تختفي بعد، لذا أومأ و تمنى لها وجبة طيبة.

***

٥ مارس ٢٠١٧

١١:٢٥ مركز تحقيقات بوسان.

_ما مشكلة ذاك الشاب الأجنبي؟ تذمر الرئيس جونسوك نحو هيوك بعد أن استدعاه لمكتبه _ لم نسمع أي خبر منه منذ ثلاثة أيام هل أنت واثق من أنه يقوم بعمله؟.

_لا علم لي، لقد طلب ألا نتصل به حتى يفعل هو أولا. صرح هيوك ضجرا.

لقد استمر الرئيس بإزعاجه طوال الثلاثة الأيام الماضية حول عدم توفر أي أخبار من جون. و لم يكن الوحيد إنما كل من في القسم ينشر النميمة حول نفس الموضوع، يتناولونه مع قهوة الصباح و كطبق جانبي للغداء حتى أن مهماتهم الميدانية لا تخلوا منه.

استأذن هيوك مغادرا. على عكس البقية كان له إحساس الخاص لم يخذله أبدا، و الذي يخبره و بوضوح أن المحقق الأجنبي لا يلهوا و حسب. لذا فقد حرص على عدم إزعاجه و مع هذا لا يريد أن يتم مضغه بأفواه الآخرين أكثر. تنهد بقله حيلة و

ضغط على أزرار مكينة القهوة رغبة في تخفيف بعض من صداعه، عندها رن هاتفه. و المتصل لم يكن متوقعا ليجيب مبتسما:

_ لدي أخبار مذهلة _ قال جون على الطرف الآخر للهاتف_ تريد الإطلاع عليها أولا؟

وبهذا فقد ترك كل أفكاره في القسم و غادر مسرعا.

خمس و أربعون دقيقة كانت كافية ليكون في شقة المحقق الأجنبي يحتسي كوب قهوة على أريكته، كانت المرة الأولى التي يخطوا فيها داخلها و رغم أنها ليست مأهولة لمدة إلا أن الجو ينذر بقاطن لسنوات طويلة. كان كل شيء منظم بدقة و قد بدا واضحا إضافة بعض الأثاث حديثا كخزانة كتب صغيرة و بعض النباتات و الأزهار.

_أعلم أنني أبدوا كمهووس لتغييري لشقة أقطنها لفترة لكنني لا أستطيع العمل ما لم يكن الجو مشابها لمنزلي _ صرح جون و هو يدلف غرفة المعيشة جارا معه ما بدا أشبه بلوح خشبي يحمل صور لجميع الضحايا بالإضافة لعائلاتهم و وجوه أخرى لم يتعرف عليها هيوك. موضع اللوح على الجدار و ابتسم بفخر محدقا بعمله فطوال الأيام السابقة لم يعرف للراحة سبيلا من التنقل بين المنازل واحدا تلو الآخر و التفكير بجميع الاحتمالات، ما كان واضحا من تشكل الهالات حول عينيه، و أردف:

_ أولا أريدك أن تعلم حقيقة أنني لا أثق بكم كثيرا لبعض الأسباب التي أفضل عدم كشفها بالإضافة لما قمتم به من حجب للمعلومات. لكن حدسي يخبرني أنك مختلف سيد هيوك لذا قررت أنني سأتعاون معك، كما أنني لا أنوي العمل في المكتب ولا مناقشة المستجدات معهم بل سأسلم فقط النتائج التي توصلت إليها. لذا إن كانت لديك أي مشكلة بهذا أعلمني الآن.

_أنا بخير مع هذا، كل ما يهمني حاليا إغلاق ملف هذه القضية بالإمساك بذاك المجرم _ أجاب هيوك بعد أن وضع كوب القهوة الفارغ على المنضدة أمامه و حدق بالمحقق الأجنبي يحثه على الإفصاح.

_ إذن و بدون إطالة لنبدأ بأول ضحية

قال مشيرا نحو المنطقة التي تحوي المعنية و كل المرتبطين بها.

_ أنت تعرف ظروف العثور عليها لذا دعنا لا نتطرق إليها، قمت بزيارة سريعة لمنزلها و صادف أن جارتها ربة منزل ثرثارة محبة للنميمة. و بعد احتساء كوب من الشاي معها، علمت أن المنزل المجاور لم يكن منزلا متحابا و إنما احتوى على العديد من الخلافات. الزوج يملك رحلات عمل كثيرة و نادرا ما يتواجد بالبيت كما أنه ضد عمل زوجته هذا جعل أصوات شجاراتها العالية تصل لمسامع الجارة في كل مرة يعود فيها، زرت كذلك الأطفال في مدرستهم و احزر ماذا؟ يبدوا أنهما كانا يعانيان من العنف

المنزلي من طرف والدتهما و بطريقة فظيعة لدرجة أن الآثار لم تختفي حتى بعد مرور مدة طويلة منذ وفاتها.

_مهلا_صاح هيوك متفاجئا _ كيف علمت أنهما يتعرضان للعنف؟ وما صلة هذا بالقضية من الأصل؟

ابتسم المحقق الأجنبي و رد:

_ لهذا لم تحرزوا أي تقدم مع أن كل شيء واضح؛ عليك أن تبحث خلف أي شيء مهما بدا تافها، عندما تحدثت مع الفتاة أخبرتني بلا تردد أن عائلتهم غير متقاربة. كما أنها و شقيقها لا يختطان بوالدتهما عندما تكون منزعجة، كذلك كانت لديها كدمات كما أخبرتك و عندما تطرقت إليها جفلت و أجابت بتوتر أنها وقعت من السلالم. شقيقها كذلك امتلك نفس العلامات لكنها ظاهرة أكثر و قد فسرها بدخوله في شجار مع بعض الطلاب.

توقف و انتشل كوب المياه من المنضدة متجرعا نصفه في حين تساءل رفيقه:

_هذا طبيعي؛ كل من في عمرهم قد يتعرض لحوادث كهذه.

_ هذا ما ظننته في البداية كذلك. لكن بعد مقابلة بقية معارف الضحايا اتضح أنهم دائما ما كانوا يعنفون أحدهم. و هذا هو العامل المشترك بينهم. كمثال آخر الضحية

الثانية تشوي مينهيوك شاب في الخامسة و العشرين، والداه مطلقان و يعيش مع والده الذي تزوج ثانية من امرأة بنفس الوضع و بهذا أصبح لمينهيوك أخ غير شقيق في العاشرة لم يتقبله. لذا فالأخ الصغير عانى من تعنيف شقيقه الأكبر. و كذلك الوضع بالنسبة لبقية الضحايا، لا يهم العمر أو الجنس المهم أنه يؤذي شخصا غير قادر على الرد عليه.

_ إذن هذا ما كان يقصده بتحقيق العدالة؟.

_تماما. لدينا مجرم مع حس عال بالعدالة. و أغلب الظن أنه يمتلك عقدة نفسية لمروره بنفس الحالة في إحدى مراحل حياته.

الفصل الثاني: أول خيط

بعد اللقاء بين المحققين اختفى جون مرة أخرى لمدة يوم كامل طلبا للراحة و متعللا بأن البحث حول مجموعة كبيرة من الأشخاص استنزف حتى أوقات نومه. كما طالب هيوك بعدم الإبلاغ عما سمعه لأحد و كونه سيتكفل بهذا بنفسه بعد فترة راحته القصيرة.

٧مارس ٢٠١٧.

٧:٣٥

لطالما جاء فصل الشتاء بالعواصف المحملة بالكوارث و المفاجآت، تأتي لتحتجز الكل في ملجئه ليستيقظ بعد مضيها على الخراب الذي خلفته. العواصف لم تمل من زيارة تلك المدينة التي بدا أن شتاءها أخذ دهرا رغم كونه في بدايته. بعد ليلة لم تتوقف فيها السماء عن النحيب و العويل و في صبيحة اليوم الذي قرر فيه جون زيارة مقر التحقيقات لتسليم نتائج عمله، و بمجرد أن خطى أول خطواته داخله قابلته حالة

الاستنفار التي سيطرت على الأجواء. أقبل هيوك نحوه مسرعا ما إن لمحه جاذبا إياه و مصرحا:

_لقد تم العثور صباحا على جثة أخرى.

و بهذا فقد عاد أدراجه نحو سيارته.

طوال الطريق لم يشعر و كأنه يحرق المسافة بينه و بين جسد فارقته الروح و هجرته الحياة ليمسي كأحد الأوعية الفارغة. لسبب جهله لم يشعر بالاضطراب و هو يفكر أنه ذاهب لملاقاة شخص يراه لأول مرة، وبدل أن يتمنى له الحظ هو سيقدم وداعه الأخير. و عندما وصل تجلى السبب أمامه: لم يبدوا و لو بقدر أنملة أنه جسد فارغ و إنما مجرد جميلة نائمة بعد يوم مرهق؛ بملابس نظيفة و ملامح هادئة. حتى تلك الضمادة حول عنقها بدت كقلادة زادتها بهاءًا. لم ينكر جون أبدا فالفتاة كانت آية في الجمال و كان ليكون فظيعا لو كانت ملطخة بالدماء... على الأقل فقد احترم القاتل هذه النقطة.

_ جون أنظر ماذا وجدنا، كانت تمسكها الضحية.

قطه سيل أفكاره هيوك و هو يمرر قصاصة من الورق مطوية على أربع. و لما كشف عن مكنونها لم يستطع كبح ابتسامة خفيفة من التسلل إلى ثغره. بنفس الخط المتعرج

من أول رسالة كتب في لبها: "عزت علي هذه المرة إرسالها إلى الجانب الآخر، للأسف لدى الجميع نقطة ضعف تجاه الجمال. و أكثر ما يثير الأسف و الغبطة أن جمال الخارج لم يماثل الداخل. لكنني قدمت خدمة خاصة"

و بالخدمة لم يعني غير الضمادة التي ربطها بشكل أنيق بالإضافة لعقدة الفراشة التي غطت الجرح. سلم جون الورقة لهيوك و قبل أن يبتعد ألقى بكلمات جالت في ذهن المحقق الكوري لفترة:

_من الغريب أنني فكرت بنفس الطريقة. أظنني قد تحمست قليلا؛ علي الإمساك به قريبا ربما يمكننا التناقش في بعض المواضيع.

لم تمضي فترة و كان ملف الضحية بين يدي جون، و بعكس ملامحها التي تظهر بعض النضج فقد كانت مجرد طالبة في السابعة عشر من العمر و فقط بالنظر لكونها طالبة ثانوية لم يكن من الصعب عليه توقع سبب نهايتها هذه.

بعد الإجراءات اللازمة من تفقد لمسرح الجريمة _أو غرفة نوم الضحية كما فضل جون دعتها بينه و بين نفسه_ فقد كان عليهم العودة للمقر بعد نفاذ حيلتهم. لم يكن من شيء ممكن للقيام به فالفاعل يسبقهم بمسيرة مدينة كاملة. و من الجلي فخره الكبير بذلك.

كان القسم يعيش حالا من الفوضى، المنتصب بقدميه يتمنى دقيقة جلوس و الملتصق بمقعده يرغب بخمس خطوات ذهابا و إيابا. ولم يكن متوقعا أقل من هذا فالوضع يصبح لا يطاق مع مرور الوقت خاصة بالنسبة لهؤلاء المحققين الذين عايشوا تغير الأوضاع منذ بدايتها.

و مع هذا فما إن ظهر المحقق الأجنبي حتى توقف الكل عما يقوم به و صرف جل الانتباه نحوه، و هو بدوره استغل الموقف و أفصح بصوت جهوري:

_أعتذر عن التأخير لكنني هنا اليوم لأعلن عن بعض الحقائق التي تخص القضية لذا أرجوا أن يجتمع كل من ينتمي لفريق التحقيق في اجتماع مغلق.

لم تكن نظرات الكره التي تلقاها جون من الجميع بالشيء الكبير بالنسبة له، بل لم تستحوذ و لو على جزء ضئيل من تفكيره. هو يعلم جيدا أن هذه حدودهم، لأنهم يحتاجونه. بالإضافة لكونه أفصح عن كل ما كان ينكب عليه في الأيام الماضية_ما عدا يوم راحته الذي قضاه نائما_ ما خلق مكانة له بينهم، أو بالأصح انتزعها.

لكن أيا من هذا لم يكن مهما فهو مهما بدا متعمقا في الأمر فهذا لطبيعة كونه شخصا ينجز عمله على أكمل وجه، و ما دام أوكل بهذا العمل فعليه أن ينهيه كغيره.

***

رغم كل ما توصل إليه إلا أنه لا يعد شيئا ذا فائدة فمعرفة نوايا الفاعل لن تدل عليه. و مع هذا فقد أمضى اليوم كسائر الأيام الماضية يتنقل من منزل الضحية لمنازل أصدقائها و ختاما بالمدرسة. و ما جمعه لم يكن بالمفاجأة فقد غدا مسار المتبع واضحا.

الضحية الدمية كانت من مشاهير المدرسة الذين يحظون بالشعبية، و قد كانت على رأسهم. لم تمتلك أي خطأ سواء في علاماتها المرتفعة أو سمعتها لدى الأساتذة و المشرفين. لكن المشكلة تكمن في الزوايا المظلمة و الأقسام المغلقة حيث لا شاهد ولا سامع؛ كانت و مجموعتها يتخذون لهم بين كل فترة و أخرى ضحية ضعيفة للتسلية بمسمى التنمر و تحت شعار نحن أصدقاء و أنت تساعد أصدقاءك. توكل إليه المهام و تنهب نقوده و غيرها مما شابه. و متى ما أصبح الرفيق غير مفيد يتلقى هدية وداع ترقده المستشفى ليومين ليحل محله غيره. و كل هذا تحت قيادة الفتاة الدمية.

عندما حل الظلام كان جون أخيرا قد ركن سيارته و ترجل نحو من منزله و قد أهلكه التعب. كل ما جال بباله لحظتها هو النوم بعد كوب دافئ من الحليب. هي عادة لا يمكنه الاستغناء عنها؛ لكن النسيم المحمل برائحة البحر فتنته ما دفعه لتأجيل مخططاته لفترة إلى ما بعد جولة قصيرة.

رغب بشدة في التجول حافي القدمين على رمال البحر لكن الأقرب له كان الميناء لذا فقد رضي بذلك القدر، راح يتأمل المياه الحالكة و التي تعاكس تماما مظهرها الزاهي صباحا. جال بخاطره خاطر؛ كيف أن أيا من تسأله عن لون البحر سيجيب ببديهية و كأنك طرحت سؤالا غبيا بأنه أزرق. لكن كيف لنا أن ننصفه بذلك و هو ليس كذلك؟. إنه يعكس ما تكون عليه السماء، لأنها الوحيدة التي يعرفها و يراها طوال الوقت. عندما تكون صافية يكون أزرقا و عندما تكون ملبدة يبدوا أقرب للرمادي و ليلا يلتحف بالسواد، و رغم أن الجميع مدرك لذلك غلا أنهم يستمرون على نفس الإجابة.

لكن الموضوع حقيقة متعلق بطبيعة البشر، الناس تضع تطلعات و ترسم مسارا لما على الشخص أن يكون وتوهمه أن هذا ما عليه فعله. لذا فإنه ينشأ و هو يفني حياته على أن يكون مرآة نظيفة تعكس تلك التطلعات بمثالية. و بطريقة فظيعة فهذا أمر بديهي للبقية. أما في حال حاولت الانحراف عن المسار و قررت رسم طريق لنفسك فأنت حثالة المجتمع و يجب أن يتم قمعك بكل الطرق قبل أن تنشر العدوى لغيرك؛ فيغدوا العالم كبشري واحد استنسخ آلاف المرات.

بينما قدماه تتقدمان بهدوء و منتشيا بنسيم البحر المحمل برائحة السمك. لمح مقعدا لم يكن شاغرا لكنه يكفي لأكثر من مستريح. و رغم احتمالية وجود غيره إلا أنه فضل

التطفل؛ ألقى التحية ثم جلس و بنظرة سريعة فحص من يجالسه: شاب لم يبدوا أنه يتجاوز العشرين. وجه صغير و عينان واسعتان على عكس بني جنسه بالإضافة لقامة لم تتجاوز المتر و الأربع و السبعين والتي تمكن من تحديدها رغم جلوسه.

التفت الشاب أخيرا و حدق بجون. و بعد وهلة ابتسم مردفا :

_ إن لم أكن مخطئا أنت القاطن الجديد؟ اعذر تطفلي إلا أنك بارز للغاية و يسهل تمييزك. لم تسنح الفرصة لإلقاء التحية قبلا، أدعى مارك نام.

_أظنك على حق، رغم قلة تواجدي بالمنزل. أنا جون ستيف، لديك اسم غربي؟ هذا غير شائع.

اتضح أن والدة الشاب كانت معجبة بالأسماء الغربية وآثرت منح ابنها أحدها ليتميز عن غيره. ثم انخرطا في بعض الأحاديث الودية، ليتضح أن محدثه في سنته الجامعية الأولى بمجال الهندسة المعمارية، و رغم كونه شابا صغيرا في ذروة سنين الطيش إلا أنه التمس منه نضجا و رزانة لم تكن لتظهر على من هم بعمره. كان جون قد أعجب كثيرا بشخصيته.

_اعتدت القدوم هنا منذ كنت في المتوسطة _صرح مارك _ وقتها كنا قد انتقلنا حديثا للمدينة و لطبعي الانعزالي فقد كان التعرف على أناس جدد في بيئة جديدة

صعبا بعض الشيء، و انتهى بي الأمر أقضي وقت فراغي أطالع الكتب على هذا المقعد. بعد فترة حصلت على بعض الرفقة، هو صديق واحد فقط و لست أشتكي بل على العكس هذا أريح لي فكثرة الناس تربكني. يبدوا الوضع و كأن علي إرضاءهم جميعا و هذا مستحيل طبعا.

لم تفارق الابتسامة شفتي جون منذ شروع الشاب في الحديث، لقد شعر بالألفة و هو يستمع لقصته. بدا الأمر مشابها لصورة تخيلها في عقله أحد الليالي التي جافاه النوم فيها، و كأنه يقابل نفسه الأصغر سنا و يتجاذبان أطراف الحديث في مكان خال من غيرهما. كان الوضع مشابها لدرجة مخيفة لصورة عقله و بنفسه التي تمثلت في الشاب أمامه.

_ تحدثك عن حياتك بسهولة لشخص قابلته توا يناقض وصفك لنفسك بالمنعزلة.

_على العكس، هذا أسهل في الحقيقة. كما أنك بدوت تواقا للحديث من تجاهلك للمقاعد الفارغة و القدوم إلي.

ضحك جون بخفة ثم قهقه. لقد أعجبه الشاب للغاية، لم يقابل مثله من قبل. في طريق العودة تبادلا أحاديث قصيرة من ضمنها عمل جون و سبب قدومه لكوريا مع التحفظ على بعض الإجابات_ و التي قد رغب حقا بإخباره عنها لولا طبيعة عمله_ و عند افتراقهما في الطابق الأول حيث منزل مارك أردف جون:

ـ أرحب بزيارتك في أي وقت، يمكننا احتساء كوب قهوة أو أيا كان ما تفضله.

شكره الشاب و دلف منزله بعد بعض توديعه بابتسامة عريضة.

***

٨ مارس ٢٠١٧

٧:٥٥

لم يحب جون التواجد في مقر العمل بل فضل حقا إتمام ما عليه على طريقته، و خاصة في البيئة الجديدة و التي لم يبدوا مرحبا به للغاية بها. لكن و مع تصاعد الأحداث فليس من المجدي نفعا المكوث في المنزل و انتظار المعلومات لتصل له، لهذا السبب فقد استيقظ أبكر من المعتاد للذهاب للعمل. و ما إن خطى داخل المقر حتى تراءى له المنظر نفسه من المرة الماضية لكن الوضع يبدوا أكثر فوضوية، و بعد تفحص المكان استطاع أن يلمح هيوك في أحد الزوايا منهمكا في مطالعة أحد الملفات.

ـ هيوك صباح الخير، ما الذي يجري يبدوا الوضع مريبا؟

التفت هيوك سريعا ما إن تسلل صوت المحقق الأجنبي لمسامعه و أفصح سريعا جاذبا إياه خلفه:

_ من الجيد أنك أتيت كنت على وشك الاتصال بك، هناك بعض التطورات لا أدري إن كانت جيدة أم سيئة.

_لما في كل مرة أضع قدمي فيها داخل هذا المكان تكون هناك بعض المشاكل؟.

توقف عن جره عند أحد المكاتب و التي رجح أنها تخص هيوك. و منه التقط ورقة بدت أنها مزقت من دفتر، لم يكن صعبا عليه تمييزها. قام بفك تلاحمها و راح يطالع الخط المتعرج الذي توقعه:

"يبدوا أنكم بدأتم تعملون بجد أخيرا. لكن حتى لو توفر لديكم بعض المعلومات فالأمر أشبه بإخبار أحد عالق في قلب الصحراء أن يتجه شمالا و هو لا يحمل حتى بوصلة و فاشل بالاتجاهات، طبعا لا أقصد الإهانة. لذا أرغب باقتراح لعبة، بعد فترة لن تكون طويلة سأرسل لكم بعض المعلومات تخص المذنب القادم، و لنر من سيصل له أولا.

إذن مع السلامة. تحياتي."

_صديقنا هذا ظريف للغاية. أتساءل كم يكون عمره؟ أو ربما هي فتاة ؟. قال جون باعتيادية و هو يعيد طي الورقة بعناية _ أين وجدتم هذه الرسالة ؟

ـ في الواقع هي فقط كانت ملقاة عن باب المركز صباحا و كتب على ظهرها إهداء إلي. وجدتها عاملة النظافة و أحضرتها لمكتبي ـ أجاب هيوك.

ـ ما من إبداع. ماذا عن كاميرات المراقبة؟ هي لم تتعطل كما يحدث في الأفلام صحيح؟

ـ في ما يخصها.

توجه المحقق نحو حاسوبه الخاص و راح يعبث به. و بعد لحظات أظهر فيديو لما سجلته الكاميرات: شخص ملتحف بالسواد من رأسه لأخمص قدميه و يخفي ملامحه بكمامة و نظارات شمسية، كان واضحا أنه رجل من بنيته و طوله. انتشل الرسالة من جيب سترته و وضعها بموازاة و حرص بجانب الباب ثم استقام، وبحركة مفاجأة رفع بعضا من رأسه نحو الكاميرا و رفع إصبعيه السبابة و الوسطى مشكلا علامة النصر. ثم أعاد ضم كفيه لجيوبه و غادر.

لحظة من الصمت مرت. ثم أعاد المحقق الأجنبي تشغيل الفيديو و راح يشاهده بكل تركيز. عند انتهائه للمرة الثالثة ألقى بنفسه في أقرب كرسي

متذمرا : فوق أنه مجنون فهو مهووس كذلك، أنظر كيف يوازي الورقة بمثالية مع الباب، كما أن تخفيه لا تشوبه شائبة. لكن من جهة أخرى هذه الطريقة لم تعد تجدي

بعد أن علمناها أتساءل كيف سيتواصل معنا المرة القادمة. الآن لا يسعننا غير الانتظار.

***

غادر المحقق الأجنبي المقر قاصدا المقهى المقابل طلبا لبعض الهدوء و الإنفراد بنفسه، لطالما أحب العمل في كندا. لكن و في هذه البيئة لا يسعه إلا أن يشعر بعدم الانتماء و نتيجة لهذا فقد طالت فترات بقائه وحيدا. بعد تسلمه لقهوته اتجه نحو المقاعد بجانب النافذة و عاد لتأمل الناس، أو بالأحرى أجسادهم فلم تكن وجوههم ظاهرة بالنسبة له. ارتشف من كوبه ثم استل هاتفه و راح يتفقد أحوال الطقس.

فنظرا لتصيد الجاني الأيام الماطرة فقد أصبحت من عاداته. و على ما يبدوا أنه سيكون أسبوعا هادئا لكن نهايته لن تكون كذلك، لذا من الواضح أن مهلتهم للعثور على الضحية المقبلة بعد تلقيهم المعلومات على أكثر تقدير أربعة أيام. هذا إن اعتبر أن الرسالة ستصل غدا.

و مع توقعه لأسوأ الاحتمالات إلا أن الطرف الآخر لم يتهاون، فمع حلول المساء و بينما كان يعيد قراءة الملفات في المكتب الذي خصص له، اقتحمه شاب يرتدي ما بدا أشبه بقميص يحمل شعار محل ما سلمه ظرفا عليه اسمه بعد أن استفسر عنه ــرغم أن حقيقة معرفته باسمه لم تكن بالشيء الجللــ كانت الرسالة المنتظرة و قد

وصلت عن طريق عامل في أحد وظائف التوصيل السريع و التي لا تعتمد على الطلب المباشر، و بهذا فقد فقدوا فرصة الحصول على بعض المعلومات... لكنها لم تكن رسالة، و إنما ظرف صغير منفوخ بشكل يثير الريبة، و عند الكشف عن مكنونه كان دفتر يسع الجيب.

قلّبه جون متفقدا إياه ثم قام بالإطلاع عليه، و بعكس كونه دفترا للملاحظات إلا أن مضمونه اختلف كليا: صفحاته الناصعة المخططة كانت قد انتهكت تماما بشيء أشبه بالمذكرات و بخط منتظم. كان هناك تاريخ لكل تدوينة و التي امتد بعضها لعدة صفحات و بعضها الآخر لم يتجاوز السطرين، آخرها كان قبل ثلاثة أيام.

انتفض من مقعده و أطل على هيوك في مكتبه مطبقا على ما وصله بين أصابعه، عرضه أمام المحقق الذي استفسر عن ماهيته:

_ هديتنا المنتظرة. رغم أننا لم ننتظر لأجلها. صرح جون.

_ وصلت بهذه السرعة؟ صاح هيوك بدهشة _ إنه غير متوان. كيف حصلت عليه؟

_ أرسله عن طريق خدمة "نفعل أي شيء " للأسف لا يمكن الحصول على معلومات. على أي حال تفقده. انتشل هيوك الدفتر و راح يقلب صفحاته و يمرر عينيه بين الأسطر سريعا ثم لم يلبث أن أعاد اهتماماه للماثل أمامه.

_ تبدوا كمذكرات. كما أنها كتبت بشكل مبهم كشخص يحاول عدم التورط في حال وقعت في يد أحدهم.

_ تماما _ أجاب الأجنبي _ لكن هناك بعض الأجزاء قد تكون مفهومة، الصفحة السابعة فيها محتوى قصير " هذا اليوم قادم مجددا. و مجددا لا شيء يمكنني فعله غير حبس أنفاسي و صوتي و الانتظار حتى ينقضي الأمر. ما أريده شيء بسيط، إما أن أختفي أنا أو هو. مع أنه من غير العادل أن أختفي في حين أنني لم أقم بشيء خاطئ لكنني لم أعد أهتم ". يمكننا أن نفهم أن الدفتر يخص الشخص الذي يتعرض للعنف و على ما يبدوا أن الجاني يسعى لتخليصه.

همهم هيوك و عاد لتقليب الصفحات. و في نهايتها حيث آخر صفحة كانت هناك كتابة دخيلة بخط مغاير متعرج استطاعا التعرف عليه، خطت كلمة وحيدة "الأمل ".

تبادل المحققان نظرات متسائلة تنم عن عدم فهم أي منهما. تنهّد جون و استقام.

_ أظنني انتهيت لليوم، سأعتمد عليك في إرسال هذا الدفتر للتحليل. و بما أنك المسؤول عني هنا سأكون شاكرا أكثر لو تقدم التقرير للرئيس. هو لا يستلطفني و الشعور متبادل.

وقف هيوك حاملا الدفتر غنيمتهم معه و مقهقها بخفة:

_ أنت محق هو فعلا لا يستلطفك، سأقوم بذلك. لا أحب الأجواء المتوترة حقا.

_ من المذهل تواجد من ينجز العمل المكتبي عنك، كنت لأحب تواجد واحد في كندا.

***

العودة للمنزل بالنسبة لجون كانت كأخذ استراحة من الحياة. كانت شيئا رغم حبه الكبير له إلا أنه لا يستطيع ممارسته كيفما أراد، و رغم ذلك فقد كان قنوعا و شاكرا فقط لكونه قادرا على تحقيقه و لو بعد حين. فقط فكرة كونه يملك مكانا للعودة إليه بعد التعب الطويل تجعله يتراقص من النشوة.

بعد أخذه حماما طويلا كان في المطبخ يقوم بتحضير كوب من الحليب يعتزم تناوله مع بعض البسكويت بينما يقرأ كتابه الذي عجز عن إنهائه. و بينما هو في خضم ذلك إذ بهاتفه يرن و سريعا، اعتلت الدهشة محياه من هوية المتصل إلا أنها لم تلبث أن استبدلت بابتسامة كبيرة و هو يرد:

_كيف تغادر بدون أي إشعار يا خائن؟ أعود من إجازتي لأجدك في النصف الآخر من العالم ..صاح الطرف الآخر بمجرد إجابته و الذي لم يكن غير ألبرت صديق جون منذ الثانوية، و بطريقة ما انتهى بهما الحال في نفس الجامعة ثم نفس فريق العمل.

_ آسف لهذا _ اعتذر جون مقهقها _ حدث كل شيء فجأة فبمجرد عودتي من إجازتي كذلك تلقيت ملف القضية و كان علي العودة لكوريا سريعا. كان عليهم الاتصال بي، الجميع يعلم أنني أقضي إجازتي هنا. لقد تكبدت عناء السفر مرتين.

_ هذه غلطتك كونك أبله يغلق هاتفه طوال إجازته، أتساءل حقا ما نوع العمل الذي تقوم به فيها.

_ليس بالشيء المهم فقط أرغب بالابتعاد و خلق مساحة كافية لأفكاري الخاصة... ماذا عنك هل من قضايا جديدة.

_ في هذا الخصوص لن أخبرك بما أنك لم تفعل، لكن سأعلمك أن هناك مفاجأة ستصلك قريبا. إذن سأحادثك لاحقا.

أقفل الخط بعد توديع صديقه و موضع الهاتف فوق المنضدة ثم حمل كتابه و كوب الحليب الذي تخلى عنه بعض من دفئه نحو الكرسي القابع بالشرفة. و هناك و قبل أن يشرع في تصفح ما بين يديه ألقى بنظره عاليا نحو السماء، كانت مظلمة خالية من النجوم و لولا تواجد القمر لكانت بساطا أسودا بالكامل، تابع التحديق لما يزيد عن دقائق. بدا و كأنه انفصل عن العالم و لم يبقى غير جسده ليشهد عليه، دارت في خلده أفكار عديدة و رغبات أكثر لم يستطع التمييز بينها. لم يعرف أيها يتبنى و أيها

يزهق. لقد رغب بجلها لكنه بالكاد يستطيع الموازنة بين اثنتين يعيشهما فأنى له بالمزيد...

أصدر تنهيدة حملت كل هواء رئتيه و معها غبار عقله و أفكاره، ألقى نظرة أخيرة نحو السماء الداكنة و القمر الساطع الذي يتوسطها و جال بخاطره .. ربما يمكن للنور و الظلمة أن يجتمعا دون أن يبتلع أحدهما الآخر؟ و من أعماقه علق آمالا كبيرة ربما لم تسعه. و أخيرا شرع في قراءة كتابه و تجرع كوب الحليب رغم برودته.

***

في وسط الأحياء الخاصة بفاحشي الثراء، تواجد منزل ضخم بحديقة واسعة تجاوز طول أشجارها السور العالي الذي يحيطها و الذي يوهمك بأنه معزول عن العالم الخارجي. في داخله عاشت عائلة من زوجين سعيدين و ابنين يدرسان في أفضل الجامعات. لكن ولسبب جهلته الزوجة فقد كان زوجها في حالة هيجان منذ عودته المفاجأة من العمل. أغلق باب مكتبه على نفسه ومهما حاولت استمالته لفتحه و مشاركتها ما يحدث معه فقد باءت بالفشل. و بعد عودة ولديها و الحديث معهم كان تفسيرهم أنه يعاني من ضغوطات العمل لذا فقد سلمت الزوجة بذلك.

إلا أن ما ألم بالرجل لم يكن مقاربا في هوله بالنسبة له إلى مثقال ذرة من ضغوطات العمل. و إنما هو مجرد قطعة صغيرة وجدها بطريقة مجهولة تنتظره في مكتبه بالعمل

صباحا. و ما إن وصلها بحاسوبه و طالع الملف الأول الذي يحتويه، تجمدت الدماء في عروقه و تسارعت نبضات قلبه حتى كاد يراه ينبض ساقطا أمامه. هو مجرد فيديو لم تتجاوز مدته الدقيقة و النصف إلا أنه و بكل وضوح قادر على إنهاء حياته و ليس فقط مسيرته المهنية الحافلة. و بيدين مرتجفتين فتح الملف الثاني الذي احتوى رسالة قصيرة من سطر وحيد. و منذ تلك اللحظة وهو يرى العالم أمامه حالكا.

***

٨ مارس ٢٠١٧

١٠:٤٥

ساعات طويلة من العمل مرت بعد ظهور نتائج فحص الدفتر الذي وصلهم و الذي حسب توقعهم لم تخرج بنتيجة. كان الهدف معرفة المقصود بالكلمة الوحيدة التي خطت بيد المجرم العادل، لكن مهما كان الجهد الذي بذلوه فإن النتيجة كانت صفرا دائما و في كل مرة يتبين لهم حل يكون خاطئا كسابقيه.

و لشدة الإرهاق قرر هيوك و جون المغادرة للحصول على بعض الكافيين و تحريك عضلاتهم المتيبسة. راح هيوك يحدق من نافذة المقهى المقابل للمركز بينما جون ينتظر من أجل مشروباتهم و الذي لم يستغرق الكثير قبل أن يمثل بجانبه، و بينما هما

يرتشفان بهدوء مرت بالشارع المقابل مجموعة منظمة من الأطفال تتراوح أعمارهم بين الخامسة و الثالثة عشر، تساءل جون بينما يحدقان بالمجموعة:

_ هل هي رحلة ميدانية ؟ أتساءل من ينظمها؟

_ إنهم أطفال الميتم الذي يتواجد في الشارع المقابل، يخرجون مرة في الأسبوع لنصف يوم...

صمت لفترة و هو يتابعهم بنظره بينما استنكر جون انقطاع حديثه المفاجئ. لكنه لم يلبث حتى صاح كمن عثر على كنز:

_ هذه هي... يا إلهي لا أصدق كيف فاتني هذا.

_ ما مشكلتك ما الذي فاتك؟. تساءل جون تابعا هيوك الذي استقام مغادرا المقهى.

_ إنه الميتم الذي تنتمي له تلك المجموعة، اسمه ميتم الأمل.

_ هل أنت متأكد...

_ لست متأكدا لكن لا يمكن إهمال احتمال كهذا. فقد فكر معي، أحد أطفال الميتم يتعرض لتعنيف قوي من أحد العمال أو بعضهم و لا يمكنه فعل شيء كما لا يمكنه إخبار أحد بما أنهم تحت رحمتهم طوال الوقت، و للتخفيف عن نفسه يقوم

بكتابة مشاعره في دفتر حيث يتسنى له أخذه معه حيث يذهب تجنبا لفرصة أن يجده العمال.

_معك حق أظنها أكثر فكرة منطقية حتى الآن.

_ لنذهب للحصول على مذكرة تفتيش و نباشر العمل.

الفصل الثالث: مفاجأة

ساعة ونصف استغرقاها قبل أن يعبرا البوابة الأمامية للميتم. كانت ساعة الغداء لذا فقد كان مضمونا تواجد الجميع هناك. و بدون لفت الكثير من الانتباه توجها نحو مكتب مديرة الميتم التي استقبلتهم بنوع من الفظاظة و الغلاظة التي تنم عن نقص حاد في آداب التعامل لديها:

_ إن أردتما تبني أحد فعليكما الحضور في الأيام المخصصة. أنا مشغولة حاليا.

تبادل المحققان نظرات حائرة و مندهشة من الأسلوب المفاجئ الذي تلقياه و الطرد الغير المباشر، و بعد تمالك أعصابه ابتسم جون و تقدم مظهرا مذكرة التفتيش برفقة شارة التحقيق خاصته منبرا:

_ ربما قد أفكر في تبني أطفال الميتم جميعا، فقد يحدث اعتلالا في تصرفاتهم مستقبلا إن ظلوا تحت رعاية شخص مثلك. لكن للأسف نحن هنا لسبب مختلف. نريد التحدث مع جميع القاطنين و العمال هنا لذا أرجوا جمعهم بصورة طبيعية و دون إثارة أي شبهات.

ارتبكت المديرة و خانتها الكلمات لوهلة، لكنها استعادت أنفاسها و قادتهما نحو قاعة كبيرة تحوي الكثير من الأرائك و المناضد و التي يبدوا أنها المكان الذي يجتمع فيه الأطفال لقضاء الوقت. و بتغير مفاجئ في نبرة صوتها و طريقة حديثها طلبت المديرة منهما أن ينتظرا بينما تنفذ طلبهما.

في غضون عشر دقائق كان قد اصطف أمامهما خمسة عشر بالإضافة لستة عمال أربعة إناث و ذكران اتخذوا مكانا بجانب المديرة. و بينما ظل جون واقفا مكانه و يعاين الجو بدقة تقدم هيوك من المجموعة و بابتسامة و نبرة مرحة راح يخاطبهم:

_ حسنا أظن أن الوضع غريب بعض الشيء لكن لا تقلقوا. أنا و صديقي هناك شرطيان، و صادف أن وجدنا شيئا ملقى في الجوار لذا قررنا البحث عن صاحبه لإعادته. سأريكم الآن الغرض و إن كان يخص أحدكم فليخبرني.

أومأ الأطفال و هم يتابعون حديث المحقق باهتمام، مد يده نحو جيب سترته الداخلي منتشلا الدفتر الصغير ليعرضه أمامهم و بكل اهتمام راح يحدق بكل الحاضرين أمامه. لم يشر أحد لأن الغرض يخصه لكنهما حصلا على ردة فعل من أحدهم. و هذا يرضي رغباتهما تماما.

شكر الجميع على تعاونهم و استأذن المحققان للمغادرة.

***

لم تكن مغادرة فعلية حيث عادا لمكتب المديرة و راحا ينتظران عودتها بعد إنهاء واجبها بمراقبة الوضع أثناء الغداء، و لم يكن ذلك أقل مما أراداه للحصول على مساحة للحديث:

_ يبدوا أن ظنك كان في محله. نحتاج الآن للاطلاع على بعض الملفات الخاصة بالميتم لكن مع هذا يظل ما بين أيدينا قليل، معرفة صاحبة الدفتر لا يفيد بشيء خاصة وأنها تبدوا غير متعاونة كما أنها ليست المستهدفة. صرح جون و هو يتفقد حديقة الميتم من النافذة الضخمة خلف المكتب.

_صحيح _ أجاب هيوك _ لكن كونها وجدناها هي خطوة كبيرة علينا الآن إقناعها بالإفصاح عمن كانت تقصده.

_لكن لسنا متأكدين إن كانت سترضخ لنا في النهاية أو لا كما أن الوقت ينفذ منا. يجب أن نعمل على جميع الاحتمالات، دعنا نكلف بعض الضباط بمراقبة الميتم بينما نتابع بحثنا.

_ سيكون ذلك أفضل...

فتح الباب و دلفت المديرة بعد إنهاء واجباتها و هي تحمل الملف الذي طلبه جون، كان ملف الفتاة المنشودة. و بعد الإطلاع عليه سريعا اتضح أنها ذات خامسة عشر ربيعا و أكبر المنتسبين للميتم، فقدت والديها في حادث سير و نظرا لأن عمها و قريبها الوحيد شخص عاطل و سكير فقد تقرر ألا ينال الوصاية عليها و عاشت في الميتم لمدة خمس سنوات...

ابتسم جون شاكرا المديرة و غادر آخذا معه الملف دون أن يعبأ لتذمراتها بكونه مخالف للقوانين .

فور عودتهما للمقر تولى هيوك كتابة التقرير بينما توجه جون لإعادة قراءة الملف ثانية بتدقيق. ما إن أخذ مقعده و كاد يشرع في تفقده إذ بهاتفه يرن ليجد اسم ألبرت يزين شاشة هاتفه، اعتلت ملامحه أمارات التعجب، فبحسب فارق الوقت من المفترض أن يكون صديقه الذي لا يفرط في ساعات نومه مهما كانت القضية في منتصف عالم أحلامه...

_ مرحبا؟... ألبرت أهذا أنت ؟ رد جون متسائلا.

_ بالطبع أنا .. من سيتصل بهاتفي غيري؟

_ أقصد يفترض أن تكون نائما الآن هل من مشكلة؟

_حسنا لهذا السبب اتصلت،لا يهم إن كنت مشغولا تعال لاصطحابي من المطار أكاد أجن من كم الناس المتشابهين هنا.

_ ما الذي تعنيه بالمطار هل جننت ؟؟ تساءل جون و هب واقفا غير مصدق لما تسلل لمسامعه.

_ توقف عن طرح الأسئلة تبدوا أبلها، أنا في كوريا حاليا و أريدك أن تصطحبني هل فهمت؟ لا تتأخر.

حدق جون بالهاتف بعد أن قطع الخط و لم تلبث ملامحه المندهشة أن استبدلت بابتسامة واسعة. غادر بعد أن حزم الملف ليراجعه في المنزل و اعتذر لهيوك الذي لا ينفك يترك كل العمل على كاهله.

لم يحتج جون الدخول للمطار و البحث عن صديقه بين مئات الناس فقد كان هذا الأخير ينتظره خارجا حيث يمكنه ملاحظته بمجرد الابتعاد عن موقف السيارات. ألبرت ذو الشعر البني و العينين الخضراوتين بالإضافة لبشرة تخللتها بعض السمرة و طول قارب صديقه؛ تمتع بشخصية مرحة، كما أنه لا ينفك عن السخرية و التذمر ما جعله يكتسب لقب الحماة بجدارة على عكس جون الذي يبدوا دائما هادئا و غارقا في عالمه الخاص...

كان جالسا على جانب بوابة المطار و متخذا من حقائبه مقعدا، له يحدق بالمارة بملل شديد و بينما عيناه تنتقلان هنا و هناك وقعتا على جون الذي يدنوا منه. وقف ليستقبله بحضن أخوي سريع ثم يوجه له لكمة سريعة نحو معدته تلوى على إثرها مصدرا بعض الأنين:

_ هذا انتقامي. سمعت من الرئيس التفاصيل كيف تجرأ على تولي قضية ممتعة كهذه من دوني... و توقف عن التظاهر لم تكن بتلك القوة.

_ و لما يكون هذا خطئي لقد وكلت لي لأنني كفء في حين أنك تسقط نائما دون حتى أن تنهي أعمالك.

رد جون و هو يرتب هندامه ثم شق طريقه عائدا نحو السيارة ليتبعه ألبرت.

_ إن كان علي التخلي عن ساعات نومي من أجل بعض القضايا فأنا غير مهتم يمكنك الحصول عليها جميعا... موضع حقائبه في صندوق السيارة ثم صعد بجانب جون ليتابع _كما أنني هنا الآن دون الحاجة لأي مما تثرثر به.

_ صحيح _ أردف جون بعد أن ربط حزام الأمان و انطلق _كيف تمكنت من المجيء لقد طلب محقق واحد، إن أتيت برغبتك الخاصة و دون إجراءات رسمية فاعلم أنني لن أطلعك على أي من معلومات القضية.

_ لا تكن لئيما، لقد طلبت من الرئيس و هو كان كريما بما يكفي ليلبي طلبي و معي بيان رسمي. كما أنني متطوع للمساعدة لذا ليس عليهم الدفع لي لذا لا يمكنهم الرفض، كيف هي بيئة العمل ؟

_ أنا سعيد لحضورك بجميع الأحوال... حسنا من الواضح أنهم لا يستلطفونني للغاية و أنا أتحدث لغتهم لذا تخيل فقط تواجدك هناك كذلك أنا واثق أنهم سيتحولون لقنبلة موقوتة. لكن هذا لا يهم حقا فأنا بالكاد أريهم وجهي، لكن هناك المحقق الذي يعمل معي...هيوك .. إنه شخص جيد من حسن حظي أنه من وكل لي.

أومأ ذو العينين الخضراوتين و شخص بصره نحو الطريق ثم تثاءب طويلا، قال بينما يفرك عينيه:

_ هذا لا يهم كثيرا بما أنه سيكون من الصعب التواصل معه لكن من المريح معرفة أنه شخص جيد. سأنام الآن أيقظني عندما نصل.

_ حسنا ... سنمر أولا على المركز يجب أن تقابل الرئيس هناك و كذلك هيوك.

_ لا أريد ... أرغب ببعض الراحة، كانت الرحلة طويلة سأقابلهم غدا.

_ هل لك أن تقوم بأمر ما دون التذمر رجاء؟؟ الوضع محموم بالفعل و الوقت يداهمنا بما أنك أتيت للمساعدة قم بذلك و حسب... صاح به جون متضايقا دون أن يبعد نظره عن الطريق.

_ حسنا حسنا فهمت... سأنام.

***

ساعة و نصف قضياها في الطريق نحو المركز، و ربع ساعة لإيقاظ ألبرت من نومه العميق بشكل كامل، ثم نصف ساعة من أجل مقابلة كل من هيوك و الرئيس بارك بالأخذ بعين الاعتبار قصر اللقاء لصعوبة التواصل بل كان أقرب للقاء تعارف قصير، و أخيرا ربع ساعة إضافية ليرتميا على الأريكة و كأن جسدهما تخلى عنهما و لم يعد قادرا على تحمل وزنه أكثر. انفلت من ثغر ألبرت تنهيدة حملت كل الهواء الذي احتوته رئتاه و أتبعها بقوله:

_ لم أشعر بهذا الإنهاك منذ طاردت ذلك السارق لساعتين. لهذا السبب أكره الرحلات الطويلة رغم بقاءك جالسا إلا أنك تشعر و كأن روحك تتركك تستنزف ببطئ.

_ ربما تكون محقا لكنني معتاد على الأمر_ أجاب جون بعد أن استقام متجها نحو المطبخ لبعض المياه ثم تابع بنبرة أعلى _ يمكنك البقاء هنا الليلة و حتى ليلة غد لكن بعدها لست مسؤولا عنك .

_ لا تقلق لست أنوي ذلك أعلم كم تكره مشاركة السكن.

_حسنا إذا _ عاد جون و انتشل الملف الوحيد الملقى بإهمال فوق المنضدة ليضعه أمام وجه صديقه _ هذا ملف القضية يحوي جميع التفاصيل الجديدة، اقرأه بعناية ريثما أخذ حماما لا يمكننا إضاعة الوقت. ستفهم ذلك بمجرد أن تنتهي من تفحصه. إنها نسخة انجليزية من الجيد أنني جهزت واحدة.

كاد ألبرت أن يفتح فاهه و معارضا إلا أنه استبدلها بتنهيدة طويلة و شرع في تنفيذ ما طلب منه، فرغم كل شيء هو يعرف متى عليه العمل و متى عليه المزاح...

عندما انطلق صوت المياه من الحمام كان ألبرت قد أنهى الاطلاع على أول جريمة منذ وصول صديقه، مرورا بكل التفاصيل و الصور و الاستنتاجات و الاحتمالات. و أخيرا توقف عند آخر صفحة و التقط صور الرسائل التي وصلت من الفاعل و حدق بها لفترة من الزمن، أمال رأسه جانبا في حيرة ثم عاد لتصفح البقية. و مع اقترابه من النهاية كان جون قد أنهى حمامه و عاد حاملا زجاجتين من الكولا الباردة ليرتمي بجانب صديقه و يحتسي من مشروبه بعد أن قدم الآخر للمنهك بالقراءة...

_ إذن ما رأيك؟

_ حسنا لقد قمت بعمل رائع كعادتك كل شيء منطقي للغاية، لكن لدي ملاحظة صغيرة في ما يخص حادثة الميتم أظنكم غفلتم عنها لانشغالكم بضيق الوقت. أظن أن علينا حصر دائرة الشبهات بكل من له علاقة بالميتم و ليس فقط العمال الدائمين. كما تعلم تمنع الزيارات في الميتم ما عدا يوم زيارات التبني و التي تكون تحت الإشراف و في جماعات حيث يتوجب حضور الجميع لذا من المستبعد حصول شيء خلالها، لذا ما تبقى هي بقية الأيام حيث يقل الازدحام و يمكن للأطفال التنقل بحرية و البقاء وحيدين. و خلال هذه الأيام لا شك أن هناك قلة مصرح لهم الدخول و الخروج من الميتم.

_ أظنني فهمت قصدك... لا أصدق أنه فاتني شيء كهذا من الجيد حضورك، إذن سأبلغ هيوك بهذا و لنذهب غدا للحصول على قائمة بكل من تطأ قدمه أرض ذلك الميتم.

_ هذا رائع. أنا جائع اطلب لنا بعض الطعام و بما أنني قمت بعملي لا تزعجني بالحديث عنه مجددا حتى الغد.

صرح ألبرت الذي عاد للاستلقاء على الأريكة و انتشل هاتفه من جيب بنطاله عابثا به في حين لم يكلف الآخر عناء الرد عليه و هم بطلب الطعام.

***

٩ مارس ٢٠١٧

٧:٠٠ صباحا _ (ميتم الأمل)

رغم هدوء الأجواء إلا أن القاطنين بالميتم لم يسعهم إلا أن يستشعروا بعض الغرابة المخيمة على الجو، و ما زاد الطين بلة هي الوجوه الجديدة التي صرحت المديرة فجأة تلك الصبيحة عن انضمامها لطاقم العمال، رجل و امرأة في أواخر العشرينيات و اللذان لم يكونا غير ضابطين من الشرطة لأجل مهمة المراقبة الداخلية .

بعد الجو المضطرب الذي سار عليه إفطار انصرف الأطفال للمدرسة، و من لم تدركهم السن بعد فقد انصرفوا إلى نشاطاتهم المعتادة. لذا و بعد أن فرغت من الإشراف على الفترة الصباحية و في تمام الساعة الثامنة و الربع كان كل من هيوك و جون مستقرين في المقاعد المقابلة لمكتب المديرة في انتظار لم يطل حيث و بعد خمس دقائق أقبلت إليهم محتضنتا بين كفيها صينية احتوت بضعة أكواب من الشاي تفي الكمية. أخذ جون بضع رشفات من كوبه و لم يستطع إلا أن يبدي إعجابه التام بذوقه، و بعد حمحمة بسيطة أردف ناطقا بالكلمات التي جاءوا من أجلها بنفس واحد.

هاجت المقصودة و ماجت. فلم يكفهم تسليمها لملف مهما بالأمس و ها هي عليها تسليم آخر أكثر أهمية و سرية. و رغم ما قد يراه المحققان بأنها مبالغة منها ألا أن للسيدة رأيا مختلفا فالمتبرعون و خاصة أهمهم يحرصون على عدم خروج أي كلمة لأي كان، فكونهم جميعا من العائلات الغنية و التي لا بد أن تكون معروفة فلن يكون هناك أسرع من انتشار خبر كهذا بين العامة و الذين سيشرعون في الإدلاء بتخمينات كهؤلاء يفعلون هذا من أجل من أجل المظاهر و غيرها ..

لكن المديرة علمت يقينا منذ البداية أن لا خيار أمامها غير الخضوع لمطالبهم، لذا فأقل ما كان بوسعها فعله الهيجان و الصراخ للتنفيس عن بعض من غضبها. لذا و بعد الاستماع لكافة تذمراتها أخذ المحققان الملف و غادرا.

***

يومها كان في العمل في قسم التحقيقات في أوجه و التوتر بلغ منهم حد الامتلاء. فمع تواجد بضع عناصرهم داخل الميتم حيث يرجح قبوع غريمهم بالإضافة لحاجتهم لدراسة ملفات و خلفية كل متبرع على حدة و كذلك استجواب الفتاة المنشودة التي تجلس على مقاعد الدراسة دون دراية بأي مما ينتظرها، باختصار كان الوضع فوضويا داخل جدران المقر. و رغم انكبابهم جميعا على العمل، إلا أن أفواههم لم تكن قادرة على ابتلاع ألسنتها فاستمرت الكلمات تتهافت من كل حدب و صوب.

و لعلم هيوك المسبق بما يحدث كونه عايشه طوال فترة عمله، فقد ساق كلا من جون و ألبرت بعد لقائهم له بعيدا عنه. وكان الرفيق الثالث التقائهم قد اعتذر عن التواجد في الميتم، فحتى لو أظهر وجهه هناك فلن يشعر بكون أكثر من مجرد قطعة أثاث فلا هو يفهم لغتهم و لا هم يملكون القوة و الصبر لترجمة كل كلمة له.

بعد جولة قيادة دامت نصف ساعة استغلها جون في إخبار صديقه بما حصلوا عليه من الميتم كما و ترجمة بعض الملفات له، كانوا قد بلغوا ضالتهم التي كانت مقهى في أحد زوايا الشارع حيث لا يكاد يحصل على زبائن؛ و هذا الوضع الذي رغبوا به، و سريعا انكب كل على عمله.

***

مساء و في موعد انصراف الطلاب كانت الفتاة مندفعة تبتغي الوصول بأسرع ما يمكن، إلى أن اعترض طريقها صوت تخلل مسامعها لم تكن لتتخيل أبدا تواجده هنا. و مع التفاتها للمديرة التي تلوح و تطلب منها الاقتراب راحت تنفذ في خطوات بطيئة قامت خلالها بتحليل كل ما قامت به في المدرسة، لكنها لم تعثر على ما قد يجعل المدرسين يستدعونها.

و ما إن أدركتها حتى ابتسمت السيدة و أخذت بيد الفتاة تقودها معها منبرة:

_ أسمعيني جيدا صغيرتي سول، هناك بضعة أشخاص يريدون الحديث معك. هم ليسوا بأناس سيئين، كل ما عليك فعله هو الجلوس و الإجابة عن أسئلتهم، كما أنني سآتي معك لذا لا داعي للقلق.

_ حسنا فهمت.

لم تستغرب السيدة إجابة الفتاة القصيرة و تفهمها السريع فهي بطبعها شخص هادئ لا يتحدث إلا بالضروريات. كما أن حقيقة كون المديرة سترافقها جعل كل الشكوك في ذهنها تتبخر. و بعد بضعة

خطوات استطاعت سول أن تحدد وجهتهما التي كانت سيارة مركونة بجانب الطريق، و سريعا تعرفت على أحد الرجلين الواقفين بجانبها، كان الرجل ذو العينين الزرقاوتين و بجانبه أجنبي آخر تراه لأول مرة، عندها بدأت الشكوك بمساورتها. لماذا يرغب محقق بالتحدث معي ؟؟؟. كان هذا كل ما جال ببالها.

لم تعد إلى الواقع إلا عندما صرخت بها المديرة لشرودها الطويل، لتجد نفسها في غرفة بدت كمكتب بأثاث يبعث على الهدوء و السكينة. كان المحقق و رفيقه قد اختفى و من كان يقابلها خلف المكتب كانت سيدة بدت في منتصف الثلاثينيات بوجه بشوش جميل و ابتسامة لطيفة. من اللوحة المستطيلة على مقدمة مكتبها علمت أنها طبيبة نفسية و من الواضح أنها من ستتولى المهمة.

استطاعت الفتاة الحفاظ على نفسها طوال مدة تعريف السيدة بنفسها و طرحها لأسئلة روتينية، و شيئا فشيئا و مع توالي الأسئلة عليها شرع جسدها بالارتجاف و العرق البارد غزى جسدها. لم يعد لوجود المديرة أية أهمية فحتى هي لن تكون قادرة على حمايتها من الصور التي شرعت بالتدفق لعقلها، و لمختلف الاستفسارات التي طرحت نحوها لم تكن لديها غير " لا أعرف" و "غير صحيح" كإجابتين تعهد لسانها بغير نطق غيرهما.

***

بعد مضي ما يقرب الساعة و النصف فتح الباب الذي وقف خلفه المحققون الثلاثة، لتعبر منه الفتاة بعينين ميتتين لا يقودها غير المديرة التي أحكمت قبضتها حول كفيها و بدون أي كلمة تجاوزتهم مغادرة و كأنهم وهم لا ترغب بلمحة منهم.

لما اختفتا عن أنظارهم دلفوا المكتب و بدون مقدمات أو حتى جلسة سارع هيوك مستفسرا:

_ هل حصلتي على شيء؟

تنهيدة طويلة انفلتت من ثغر الطبيبة و هي تزيح نظاراتها و تدلك صدغيها منبرة:

_ حسنا علمت بضعة أمور لكن لا تلميح حول المتسبب، يبدوا أنها تعرضت لصدمة كبيرة لدرجة أنها تمحوا ما مرت به من بالها و لا تفكر به مطلقا. و في حال حاول أحدهم تذكيرها أو السؤال عنه فإن عقلها يصبح فارغا و لا تردد غير كونها لا تعلم، لذا و من الواضح أنها تتعرض لتهديد فظيع من أحدهم. حسنا أظنكم وصلتهم لهذا لكن على الأغلب أنها تتعرض للتحرش بصورة منتظمة، عليكم القبض على من يفعل هذا بها و توجيهها للعلاج سريعا إنها تغرق ببطئ و لن يطول الوقت قبل أن تنهار .

بعد الاستماع إلى المزيد من التفاصيل غادر الثلاثة متمنيين للطبيبة أمسية سعيدة.

موقف السيارات كان نقطة انفصالهم حيث غادر هيوك نحو منزله بينما أقل جون صديقه نحو شقته التي استأجرها صباحا، لم تكن بعيدة عن خاصة جون و إنما تسبقه ببضعة شوارع لا تتجاوز فترة عبورها الربع ساعة و ألبرت لم يخترها إلا لهذا السبب.

_ تلك المديرة شخص جيد على عكس المتوقع، رغم أنني لم أفهم ما قالته لتلك الفتاة إلا أنه يمكنني الجزم بذلك _ صرح ألبرت بهدوء و نبرة ناسبت الجو.

_معك حق. لم أظنها هكذا في أول يوم قابلتها به و قد تفوهت ببعض الهراء، ذكرني أن أعتذر لها لاحقا _ صرح جون بنفس النبرة دون إزاحة ناظريه عن الطريق.

ضحك ألبرت بخفة مردفا:

_ واثق أن ما قلته لم يكن لطيفا، سأذكرك...

و عاد الصمت ليخيم على الأجواء لبقية الجولة. مع اقترابهم من شقة ألبرت كانت الشمس قد شرعت بالغروب لكن ما دل عنها لم تكن الصبغة البرتقالية المحمرة المعتادة و إنما الظلمة التي سريعا ما غطت الأجواء نتيجة الكم الهائل من السحب الذي عمل على إخفائها لترتدي المدينة ثوبا كحليا فخما مرصعا بجواهر مختلفة الألوان .

ودع ألبرت صديقه و ترجل مغادرا، كانت الشقة في الطابق الثالث لكنه فضل لو كانت في الأول لكرهه الشديد للطوابق المرتفعة. احتوت غرفة بتصميم مشابه لخاصة صديقه، حقائبه كانت لا تزال ملقاة بإهمال بجانب الباب لاستعجاله لذا نقلها للغرفة مؤجلا فكرة ترتيبها لوقت لاحق و اكتفى بإخراج بعض الثياب المريحة.

و بينما هو ينتظر شاي الأعشاب ليجهز أخرج الملفات التي أعدها جون من أجله و رتبها كل بجانب الأخرى لتكون جميعها تحت مرمى ناظريه، و لما استقام شخص بصره نحو النافذة ليجد الجو شديد السواد تخللته بضعة صعقات برق منذرة بأمطار شديدة قادمة، راح يتأملها:

ـ أرجوا ألا يعرج جون على أي مكان و يعود للمنزل مباشرة، الجو يصبح خطيرا للقيادة. حدث نفسه.

و لم يقطع تأملاته غير صوت نضوج الشاي.

***

١٠ مارس ٢٠١٧

صباح اليوم التالي لم يكن صباحا عاديا بأي شكل من الأشكال، ليس فقط على قسم التحقيقات الذي اعتاد الفجائع و إنما على عدد كبير من سكان المدينة و حتى البلد... الليلة العاصفة التي مرت بالمدينة لأول مرة منذ إقبال فصل الأمطار كانت كفيلة بتوقع حجم الخسارة التي ستخلفها. لذا و في صبيحة اليوم حيث أن الأمطار قللت من حدتها رحمة بالمجبرين على ترك منازلهم سعيا وراء لقمة العيش إلا أنها استمرت بالانهمار، لفظت جسدا انتزعت منه روحه ملقى على الأرض ينتظر أيا كان من ينتشله...

في ساعات الصباح الأولى و التي لا تكاد أن تصدق أنها كذلك للظلمة التي أبت مفارقة السماء، كان المحققون الثلاثة في أحد الأزقة الحقيرة التي لا يرتادها المرء إلا إذا كان خارجا عن قواه العقلية متحلقين حول الجسد الفارغ الممدد أرضا. رجل في

خمسينياته غزى الشيب بعضا من خصيلات شعره الذي حافظ على كثافته، وجهه صحي خال من أتعاب الزمن ماعدا بعض التجاعيد هنا و هناك التي لا مفر منها ما يشير إلى أنه عاش حياة مترفة.

ظنه جون وألبرت مجرد كهل غني حقير حتى صرح هيوك بأنه ناشط سياسي معروف و كان على بعد خطوة من تولي منصب محافظ المدينة لذا و نظرا لمكانته فإن الخناق سيزيد عليهم من الرؤساء و خاصة الإعلام ..

لكن أيا من هذا لم يهم جون أو ألبرت فبغض النظر عن كون هذا المشاكل السياسية لا تعنيهما إلا أن هذا الرجل المتوفى لم يكن بالشخص الصالح والذي يستحق منصبا كهذا ، و إذا قاموا بالحفر أكثر خلفه قد يجدون ما هو أسوأ .

***

عودتهم للمركز كانت أكثر شيء مزعج مر بهم على الإطلاق بسبب الحشد الغفير من الصحفيين الذي تحلقوا حولهم باحثين عن أي معلومة تشبع فضولهم، بمجرد أن وطئت أقدامهم أرض المركز تقدم نحوهم أحد الضباط و الذي بدا أنه كانت في الانتظار مرفقا بظرف يحتضنه كفه الأيسر .

_ سيدي وجدت هذا الظرف قرب منزلي صباحا، عليه إهداء للمحقق جون ستيف.

صرح مادا بما يمسكه أمام أنظارهم لينتشله المعني بالإهداء. قلبه أمام ناظريه ثم شكر الرسول و هم بالتوجه نحو مكتبه بحثا عن الخصوصية. و تحت أنظار ثلاثتهم فتح الظرف و انتشل منه رسالة ليست كالمعتاد فطولها يزيد بكثير عن سابقاتها . راح جون يقرأ:

"أعزائي فريق التحقيق، أولا سأرحب بالوافد الجديد. سعيد بحضورك كلما زاد العدد زادت المتعة.

ثانيا، للأسف كنتم قريبين للغاية. هذه المرة قدمت لكم مساعدة كبيرة و مع هذا لم تدركوا الغاية، على هذه الحال لن تستطيعوا الإمساك بي أبدا.. لكنني لا ألومكم فمن كان ليتوقع أن شخصا موقرا كذاك يقدم على أفعال كتلك. لقد أرفقت مع رسالتي هدية إضافية أرجوا أن تنال إعجابكم.

ثالثا و الأهم، أرغب باقتراح شيء مميز: يمكنكم إطلاق اسم لعبة مبتكرة عليه، قمت بتحديد ثلاث فرائس مسبقا و لن يطول الوقت قبل دنو دورهم. و تماما كما حصل هذه المرة، سأوافيكم ببعض التلميحات حولها وعليكم إيجادها قبل أن أقرر أنه حان موعدها. في حال استطعتم معرفتها قبل ووصولي لها فهذا فوزكم و سأتوقف عن مطاردتها لننتقل للمرحلة التالية، أول من يحصل على جولتين من ثلاث هو الفائز. طبعا في حال كان الفوز من نصيبكم عندها أتعهد بأنني سأسلم نفسي طواعية. أما إن

كان من نصيبي فسأتوقف عن التواصل معكم و سأستمر بما أقوم به إلى أن تمسكوا بي. و من يدري كم قد تستغرقون لذلك.

بالطبع لديكم الحق في القبول من عدمه. إن كنتم موافقين قوموا بتسليم ما أُرفق مع الرسالة للصحافة ليذاع صباح الغد على جميع القنوات. أما في حالة رفضكم فليس لدي خيار غير اعتبار أنني الفائز و انتظار وصلكم لي. تحياتي."

وضع جون الرسالة جانبا و عاد للظرف باحثا عن الهدية المزعومة ليجد بطاقة ذاكرة صغيرة، و بعد توصيلها بالحاسوب أمامه لم تحوي غير ملف بمقطع فيديو وحيد كذلك لا تتجاوز مدته الدقيقة والنصف، قام بالنقر عليه. ما ظهر أمامهم لم يكن بالشيء العادي على الإطلاق، و لا شيئا يمكن الحصول عليه بسهولة. بزاوية مثالية حيث تلتقط وجه المذنب بوضوح، و في حين أن خاصة الضحية لا يظهر و لو بقدر بسيط جزء قصير عرض الجرم الشنيع الذي تورط به مستغلا منصبه و مفسدا حياة فتاة بريئة.

لكن هذا لم يكن بتلك الأهمية حاليا كونهم يحيطون علما بالموضوع، و لا حتى التساؤل عن كيفية حصوله عليه و أما السبب الذي دفعه للمطالبة بنشر شيء كهذا.

***

كان جون قد شرح إيجازا مضمون الرسالة لألبرت و هما في طريقهما للمنزل. و رغم ما تبدوا عليه الأوضاع من تعقيد، إلا أنه حقيقة ما من شيء بالوسع فعله عدا الانتظار. كان الوقت بعد الظهيرة بقليل إلا أن الجو صبغ ببعض الظلمة بفعل غيوم أمس التي أبدت مفارقة و لو جزء بسيط من السماء، و مع استمرار جون في القيادة فقد راح صديقه يعيد تفقد صور السائل التي وصلتهم من الجاني.

_ جون كما تعلم لست ملما بهذه اللغة ناهيك عن كتابتها... هل خط هذه الرسائل متعرج للغاية؟

استفسر ألبرت.

_ أجل هو كذلك. يمكن القول أنه أشبه بخط طالب ابتدائية.. لما فجأة؟

_ فقط تذكرت عندما كنت بالإعدادية و أردت الاعتراف لصديقتي، لم أردها أن تعرفني لذا تركت رسالة صغيرة بين كتبها مكتوبة بيدي اليمنى في حين أنني أعسر.

_ أجل أخبرتني بتلك القصة. مهلا هل تلمح لأن الجاني يستعمل نفس الطريقة ؟

_ لا أعلم هذه مجرد نظرية لا يمكن التحقق منها، كما تعلم ليس للجميع خط جميل و واضح.

و نهاية حديثهما تزامنت مع ركن جون للسيارة بجانب البناية التي يقطنها ألبرت ليتجل بعد توديع صديقه مسرعا نحو منزله.

الفصل الرابع: بداية اللعبة

_ مهلا قادم...

صاح جون ردا على الطرق المتواصل لباب شقته ليظهر سريعا بقميص بلا أكمام، شعر مبلل و منشفة حول رقبته ما يدل على فروغه من الاستحمام توا.

_ مساء الخير. كنت سأقول آمل أنني لم أزعجك لكن يبدوا أنني فعلت. قال مارك بمجرد أن فتح الباب أمامه و وقوع نظره على مظهر الآخر.

_ لا تقلق كنت قد انتهيت سلفا. تفضل بالدخول.

ابتسم الضيف بامتنان و خطى أول خطواته داخل الشقة، لكن أيا من تفاصيلها لم يسترعي انتباهه، بل لم يكن قادرا على إزاحة ناظريه عن ساعدي الشاب الأجنبي التي كانت مزدانة بعدد لا متناهي من آثار الحروق، التي لم يبدوا عليها الحداثة. لم يغفل جون عن تلك التحديقات، و بابتسامة أشار عليه بالجلوس ريثما يحضر بعض الضيافة.

_ من الغريب وجود ندوب كهذه أليس كذلك؟

أفصح جون بمجرد ظهوره من المطبخ، كان يحمل كوبين من شاي الليمون و طبق بسكويت و آنية السكر مع ملعقتين داخل كوب مياه. ثم قام بنقل محتويات الصينية بترتيب على المنضدة حتى فرغت ليضعها جانبا، و أخيرا جلس مقابلا لمارك الذي رد قائلا:

_لا. أنا فقد لم أتوقع وجودها... حمل كوبه و تذوق رشفة صغيرة ثم أضاف ملعقة من السكر. تابع.. أظنه شيئا عاديا نظرا لطبيعة عملك.

قهقه جون بخفة مردفا:

_ هذا ليس له علاقة بعملي فمن الواضح أنها أقدم من ذلك، أظن أنني أخبرتك أنني عشت هنا من قبل... تناول كوب الشاي مرتشفا منه ليتابع .. كان ذلك من طفولتي حتى الثانوية بداية كنت مع والدي و لاحقا بعد انفصالهما و بسبب صغر سني وقتها حصلت والدتي على الحضانة، لذا عاد والدي لكندا و بقيت أنا هنا. في أول سنة لي في الثانوية نشب حريق في منزلنا توفيت فيه والدتي و حصلت أنا على هذه الندوب. و بما أنني كنت تحت السن القانوني فقد نقلت لوصاية والدي و غادرت لكندا... هذا ما حصل.

_أوه آسف لهذا... لم يكن عليك قوله حقا. صرح مارك بصدق.

_ لا عليك. الكثيرون يشعرون أن عليهم إخبار الآخرين بظروفهم عندما يتبين لهم البعض منها لكنني لست كذلك، أنا أخبرك لأنني أرغب بهذا.

_ إذن أظن أن علي أن أكون شاكرا. بالمناسبة طريقة تقديمك للضيافة راقية للغاية الرجال فاشلون في أمور كهذه، خاصة إذا كان مع شخص من نفس جنسه.. كان ليكتفي بكوب يحمله بيده أو ربما حتى قارورة مشروب بارد.

لم يستطع جون كبح قهقهاته و هو يستمع لنفس الكلام لمرات عديدة ليجيب :

_إنها عادة أعجز عن التحكم بها اكتسبتها من العيش مع والدتي دون أي ذكر في الجوار.. لا شك أنك سمعت الأخبار، الوضع يزداد جنونا.

_ صحيح آمل أن تقبضوا عليه سريعا. لم أستطع الاعتياد على هذا الجو المشحون، في كل مكان أقصده لا يتردد على مسامعي إلا نفس الموضوع و نفس الكلام.

_ يبدوا أنك ستسمع المزيد غدا، جهز نفسك هناك مفاجأة من العيار الثقيل.

***

١١ مارس٢٠١٧

٨:٠٥

القرار لم يمكن حكيما، و لا حتى سهل اتخاذه. بالإضافة للتذمرات التي لم تفك تنهال عليهم من قبل الرئيس منذ وصول الرسالة و اتفاقهم على إتمام ما شرعوا به...

في اللحظة التي أرسل فيها الشريط لكافة المحطات الإذاعية، لم يكن هناك أي شيء يسير على ما يرام في كافة أنحاء البلد. الأصوات التي كانت تصرخ ناقمة على مرتكب الجريمة الشنيعة استحالت مستهجنة بكافة أوتارها تسب الذئب الميت الذي تنكر ببراعة ممثل مخضرم في زي الخروف ليختلط بهم. الأيادي التي كانت تشد على كفي العائلة الفقيدة و تغرقهم بكلمات الأسى و العزاء، غدت تغسل كفوفها مرات خوفا من العائلة التي عاشرت ذلك المجرم...

و بلحظة انقلبت الأدوار بين الجاني و الضحية.

و بينما الأحوال مقلوبة رأسا على عقب خارجا، كان فريق التحقيق الثلاثي في المكتب منفردين بأنفسهم. كان جون يهم بفتح الرسالة التي كانت تنتظره عند عامل المقهى الذي اعتاد الحصول على قهوته منه، كانت ورقة وحيدة. و بصوت عالي قرأ:

"يعيش الناس و يتعايشون، يرون و يتراءون. و مما لا ريب فيه أن للكل منشأ متمثلا في المكان الذي ولد ونمى فيه، تلك المساحة المحدودة تشكل عالما قد يبدوا صغيرا، إلا أنه كثقب أسود يمتص أي شوائب قد تعلق بكيانك من العالم الخارجي لمجرد تواجدك ضمن حدوده. قاطنوه أناس من ذهب و ألماس قد يقطعون أعناقهم

فداءا لبعضهم. و كما أن لكل منتصب ركائز فإن عالما كهذا ليس حالة شاذة، لذا و في حال سقوط ركائزه فلا مفر من تصدعه ليتهدم على رؤوس قاطنيه. من المستحيل النجاة من انهيار كهذا دون جروح أو ندوب، و غالبا ما يحاولون إعادته لما كان عليه، لكن النتيجة لن تكون مرضية مهما كان الجهد المبذول . دونغو "

تبادل جون و هيوك تحديقات مستغربة في حين كان ألبرت يستمع للترجمة الصوتية، و بمجرد انتهائها شاركهما الشعور. كان من الجلي أن النص الماثل أمامهم فلسفي بحت و هو شيء لا يمكن التوصل لمعناه لمجرد الاطلاع عليه سريعا. لذا و بعيدا قرروا الانطلاق من الكلمة الوحيدة في السطر الأخير.

حدق جون بالرسالة كلا و بالكلمة فردا.

بدا هيكلها تماما كاقتباس. لذا فقد رجح أن الكلمة الأخيرة تكون اسم الكاتب أو دليل عنه، و بالنظر للجريمة السابق التي استهدفت عضوا فاعلا و معروفا في المجتمع، فليس هناك ما يمنع تطبيق نفس القاعدة. لكن و رغم أن تلميحاته السابقة كانت واضحة بعض الشيء إلا أن تلميحا مباشرا كهذا من المستحيل أن يحدث أي قد لا يكون اسم الكاتب أو حتى اسم شخص ما.

لكن يجب قطع الشك باليقين. لذا سأل:

_ هيوك هل هناك كاتب باسم دونغو؟

فكر المعني، ثم نفى.

_ ليس على حد علمي. ربما يكون كاتبا غير معروف أو ناشطا على الانترنت، لست ممن يتابعون المنشورات الرقمية...

_ إذن رجاء قم بالبحث عنه أو أي كان من كتب هذا النص فكا تعلم لست على اطلاع بالمواقع المستعملة لديكم، و سأحاول مع ألبرت فهم المقصود من النص...

قال جون مربتا على كتف المحقق الكوري الذي أومأ موافقا. ثم غادر رفقة صديقه.

***

لكون جون يفضل العمل بالإنجليزية بدلا عن الكورية و كذلك مراعاة لصديقه الذي لم ينفك عن التذمر كون اللغة صعبة و لا يمكنه حتى التفريق بين الكلمات، فقد قام بإعداد نسختين مترجمتين للرسالة. و في مقهى اعتمد ديكورا عتيقا زينته الكتب و انتشرت به رائحة القهوة أخذا مكانا لهما في منزويا بعيدا عن الضجيج و راحا يتأملان الكلمات.

بينما هو يحتسي رشفات من قهوته كان يعيد القراءة. تارة يضع سطرا تحت جملة ما، يعيد كتابتها على دفتره و يضع تحتها المعاني المحتملة لها. و تارة أخرى يرسم دائرة

حول كلمة لم يفهم مغزاها. و هكذا مرت ساعة كان قد استنزف كل أفكاره... و بدون التلفظ بحرف حول بصره نحو الجالس قبالته ليجده منكبا على أوراقه الخاصة. و التي تواجد منها الكثير. لم يفهم جون من أين له كل تلك القصاصات و فيما يستعملها إلا أنه لم يهتم.. لكل طريقة عمله.

حمل كوبه و بهدوء انتصب مغادرا المقهى للحصول على بعض الهواء النقي شاكرا وجود مقاعد خارجية. و بينما جالس يطالع تعابير المارين بجانبه لمح وجها مألوفا وسط مجموعة من الشبان، و لم تكن وهلة قبل أن ينتبه لوجود من يحدق به و ما إن استدار حتى وقعت عيناه على جون الذي رفع كفه محييا إياه في حين اقترب الشاب.

_لم أتوقع وجودك هنا، أليس من المفترض أنك في العمل بدلا من الاسترخاء في المقاهي ؟؟ صرح مارك مبتسما.

_ لدي الحق في اختيار مكان عملي ما دمت أقوم به كما تعلم لست تحت سلطة رئيسهم، كما أنني انتهيت للتو أنا فقط أرتاح إلى حين انتهاء صديقي .. رد جون مبررا.

_ تقصد صديقك الذي حضر للمساعدة... ألقى مارك نظرة من خلال النافذة الزجاجية ليلمح سريعا شاب يتدلى رأسه فوق الطاولة بتركيز ثم تابع. رأيته، إنه يلفت الانتباه مثلك تماما.

رغب مارك بالمكوث أطول إلا أن صوت رفاقه يستعجلونه جعله يحود عن الفكرة ليودع المحقق سريعا و يغادر في طريقه، دقائق إضافية ليشعر بذراع تربت على كتفه و الذي لم يكن غير ألبرت الذي راح يتذمر كون جون غادر بدون إعلامه. و نظرا للصخب في المقاعد الخارجية فقد عادا لطاولتهما السابقة.

***

أعاد جون تعبئة كوب قهوته في حين طلب ألبرت عصير برتقال. فرد كل نتيجة عمله أمامه ليفتتح ألبرت قائلا :

_ بداية لدينا أول جملة مهما فكرت بالأمر لا أرى أي معنى مرتبط لها لذا أظن أنها مجرد عبارة افتتاحية. ننتقل لما بعدها " لكل منشأ و هو المكان الذي ولد و نمى فيه " إذا فكرنا كثيرا قد يبدوا المعنى مختلفا تماما لكن مما استنتجته حول هذا المجرم أنه علينا أخذ كل شيء ببساطة و عدم المبالغة، إذن ما أول ما يخطر على بالك عند قراءة هذه العبارة؟

_ المنزل ... منشأ، ولادة و نمو. هذه الأمور تكون ضمن نطاق المنزل و العائلة – رد جون– هذه الكلمة المفتاحية و ما بعدها يكون واضحا لا يمسه أي غموض.. أيضا النص مقسم لجزأين. الأول تناول أهمية العائلة لدى الشخص و العلاقة بين أفراده، أما الثاني انتقل بشكل غريب للركائز التي تحفظ توازن الأشياء و عن تساقطها.

ـ ركيزة كل عائلة هي الوالدان –تابع ألبرت – " إن سقطت ركائز عالم كهذا فسيتصدع و يتهدم على رؤوس قاطنيه" لذا فهو يتحدث عن وفاة الوالدان ربما أحدهما أو كلاهما، و هذا أحدث مشاكل بين أفرادها.

ـ صحيح. تلخيصا... توجد عائلة كانت سعيدة و متفاهمة حتى توفي أحد الوالدين أو كلاهما، نتج عن ذلك مشاكل بين الأفراد. لذا في ذلك المنزل ضحية لهذا التغير و المجرم يسعى خلف من يستضعفها. مهمتنا هي إيجاد هذه العائلة سريعا .

ابتسم ألبرت و ضرب كفه بكف صديقه مردفا:

ـ كان هذا أسهل مما توقعت.

ـ لم ننتهي بعد هذه فقط البداية.. رد جون مرتشفا من قهوته التي بردت خلال حديثهما.

ـ اخرس رجاءً؟

اتصال من هيوك جعلهما يعودان أدراجهما نحو المقر ليقابلهما بوجه عابس متجهم كان كفيلا ليلما بالنتائج.

_ بحثت في كل مكان لكن لا أثر لكاتب رسمي بهذا الاسم، اطلعت على منتديات النشر الإلكترونية وجدت مستخدما واحدا يستخدم ذلك الاسم كلقب له. لكن بعد الحديث معه اتضح أنه ليس كاتب النص... صرح هيوك متنهدا.

_ هذا يعني شيئا وحيدا و هو أن صديقنا الخفي هو من كتبه –قال جون – لكن ما الذي عناه بتلك الكلمة...

_ لا فكرة لدي – رد هيوك – ماذا عنكما ؟

_ لم يكن بذلك التعقيد في النهاية سأطلعك على النتائج لاحقا... إذا سنغادر الآن ليس هناك ما نقوم به أكثر، اتصل بي في حال ظهور أي مستجدات.

_ حسنا مع السلامة. سأنهي بعض الأعمال الورقية وأنصرف كذلك.

حمل جون بعض المستندات من مكتبه و غادر برفقة ألبرت. استقلا السيارة ليشغل جون المحرك و يضع ما بيده في المقعد الخلفي، صدرت تنهيدة طويلة مرهقة من ألبرت الذي استرخى بكامل وزنه على المقعد. أدار من يتولى القيادة المقود متحركا و ابتسامة خفيفة تلاعب على شفتيه لحال صديقه. لم يفهم أبدا لم اختار ألبرت العمل محققا و الذي يتطلب الكثير من الطاقة و التحركات طوال اليوم في حين أنه شخص

كسول يتعب بسهولة. وظيفة مكتب كانت لتكون أفضل خيار له، لكنه كان سعيدا لهذا الاختيار على أي حال، و رغم أنه لم يخبره من قبل إلا أنه كان دائما شاكرا له.

توقف جون عند الإشارة الحمراء للحظات، نقل بصره نحو الساعة الرقمية للسيارة ثم أردف :

_ ألبرت لا يزال الوقت مبكرا. ما رأيك أن نتناول الطعام في مطعم ما قبل العودة ؟

_ لا مشكلة لكن أريد بيتزا و بعض الدجاج، لساني لم و لن يعتاد على الطعام الغريب هنا. رد ألبرت مصلحا جلسته ليفتح زجاج النافذة سامحا لنسيم المساء بمداعبة وجهه.

قهقه جون بخفة قائلا : لا مشكلة لك ذلك.

و عاد لتحريك السيارة بمجرد عودة اللون للأخضر.

***

لم يكن المطعم الذي قصداه بعيدا عن مكان سكنهما و إنما يتجاوزه ببضعة أحياء، كما لم يستغرقا وقتا طويلا للفروغ من الطعام. و كختام طلبا بعض المشروبات الغازية الباردة. اتكأ ألبرت على مقعده و راح يراقب الشارع. و بينما هو كذلك توقف بصره على شيء ما. ركز النظر و أطاله، التقط هاتفه من الطاولة سريعا و لينقر على ملف

باحثا عن صورة و لما وجدها نقل بصره تباعا بين الهاتف و مما لفت نظره خارجا ليصيح نهاية كمن عثر على كنز... هذا كله تحت نظرات جون المستغربة الذي سأل:

_ ماذا هناك هل جننت؟؟

_ هذا لا يصدق... أنظر هناك تلك اللافتة التي تبين معالم المدينة على جانب الطريق. رد ألبرت بحماس .

_ ماذا قد يوجد على لافتة بها أسماء الأحياء.

قال جون و وقف نحو النافذة باحثا عن اللافتة المقصودة التي يشير عليها صديقه، و ما إن دخلت حيز نظره حتى اتسعت عيناه و فغر فاه غير مصدق... على تلك اللافتة الزرقاء التي خطت بالأبيض كتب "الحي السكني دونغو ١٠٠ متر".

تبادلا نظرات لوهلة. دفعا الحساب سريعا ليغادرا تاركين المشروبات خلفهما. اكتفيا بالسير نحو ذلك الحي السكني لقربه، و مع كل خطوة تتناقص الضوضاء الناجمة عن السيارات المارة حتى صارا وسطه و لا يحيطهما غير البنايات. من شكلها كان واضحا أن قاطنيها من متوسطي الدخل، تحوي معظمها من خمسة إلى ستة طوابق، بدا أن الشقق ليست بذلك الكبر و على الأرجح تتألف من غرفتين لا غير. تابع الشابان مسيرهما باحثين عن أي من يمكن أن يطرحا عليه بعض الأسئلة، لكن و حتى نهاية

الحي لم تظهر أمامهم غير القطط الضالة. لذا ما كان أمامهما غير الاستسلام و العودة في الغد.

لكن يبدوا أن القدر يخبأ للغد أعمالا مختلفة... فبينما هما يعودان أدرجاهما صادف أن تعمي أبصارهما الأضواء الأمامية لسيارة تسير ببطء لتركن في الموقف بجانبهما، و بدون إطالة غيرا المسار نحوها.

من السيارة ترجلت سيدة بدت في منتصف الثلاثينيات، بشعر أسود مسرح للخلف و بذلة رسمية سوداء تدل على عودتها من العمل. بدت شخصا عاقلا متزنا لا يتحدث إلا بما يعنيه. لكن لا يجب الحكم على المظاهر، فما إن سأل جون عن احتمال تواجد عائلة فقدت أحد الوالدين قامت بمنحهما أسماءهم و مكان سكنهم بالإضافة لتقرير كامل حول حياتهم، دون الحاجة لطرح أي تساؤل آخر. فقط الجلوس و الاستماع.

الفصل الخامس: أول جولة

بعد شكر السيدة و التهرب من بعض أسئلتها الفضولية، شقا طريق العودة ببطء و هدوء. كانا يسران والصمت يرافقهما... إلى أن فتح جون فاه مبددا إياه بكلمات لطالما شغلت أفكاره :

_ أخبرني ألبرت. ما رأيك بهذه القضية، و الشخص الذي نسعى للقبض عليه؟

_ ما قصدك؟ تساءل ألبرت بغير فهم للنية الحقيقية خلف سؤاله.

_ أنا أخبرك بهذا لأنني أعلم يقينا أنك لن تحكم علي مما أقوله... صمت جون لوهلة كمن يسترجع أفكاره و يرتب كلماته ثم تابع... مؤخرا لا يسعني التفكير إلا في ماذا لو أن الشخص الذي نسعى للقبض عليه ربما ليس بذلك السوء و أنه يقوم بما لا يمكننا... أو لسنا مخولين للقيام به بسبب القيود القانونية. لا يمكننا الإنكار أنه و بغض النظر عن أن الطريقة التي يتبعها خاطئة، إلا أنه لا يستهدف الأبرياء و إنما مجرد ثعالب لم ندري حتى بوجودها. نحن نسعى للإمساك بالمذنبين و غيرهم لتحقيق النظام و الأمان لكننا لا نصل لنتيجة كاملة مهما اعتقلنا منهم. من جهة أخرى هو كذلك

يفعل. صحيح أن طرقنا مختلفة إلا أننا نسعى لنفس النتيجة. أعلم أنه لا يجب علي التفكير بهذه الطريقة لكن لا يسعني إيقاف عقلي عن تكرار هذه الكلمات.

استمع ألبرت بهدوء و ركز بكل كلمة صدرت عن صديقه. و لما فرغ حول بصره نحو الطريق أمامه و رد:

_ معك حق فعلا لا يسع المرء إلا أن تتسلل أفكار كهذه لعقله لو واجه موقفا كالذي نعيشه. الشخص الذي نسعى خلفه، أنا واثق أنه شخص لطيف و طيب القلب. ربما لم يرغب بالوصول لما هو عليه الآن، وربما عاش بضعة تجارب مشابهة للأشخاص الذي ينتقم لهم و يخلصهم. أنا واثق أنه لم يتواجد من ينقذه لذا رغب أن يكون هذا الشخص لغيره. لكن لا يجب إتباع جميع الرغبات، هناك رغبات إتباعها يعني تخليك عن طبيعتك الإنسانية، هذا هو المعنى الحقيق لوجود العقل.

_ في البداية امتلكت نفس تفكيرك، لكن منذ آخر قضية شرعت الشكوك بالانسلال نحوي. بدلا من التفكير كشخص عاقل لما لا نحاول التفكير مثله؟ لكن حتى لو حاولنا لن نستطيع و لن نفهم. لا يفهم شعور إنسان متألم إلا من عاش موقفا مشابها. مشاعر الإنسان تكون محفزة خلال خوض التجربة و لا يمكن موازنة الشعور في المستوى المناسب ما لم تشاطره بها. لذا لمجرد كوننا نعلم بضعة أشياء عنه و

التي لم تكن غير افتراضات استنبطت من العقل لا يعني أننا نفهم الوضع تماما. و هذا يعني أنه لا يمكننا الحكم عليه.

_ أوافقك الرأي، لطالما كنت تصيب عين الصواب. لكن أليس لهذا السبب يوجد قانون؟ و استثناءات حسب الظروف؟ بما أننا لسنا مخولين للحكم فكل ما علينا القيا م به هو إمساكه و تسليمه لمن يمتلك الحق في ذلك. لكن ربما حتى شخص مثله لن يستطيع الحكم. لا أحد يستطيع، لهذا يلتزم كل بما عليه فعله دون التفكير العميق و الذي لن تكون نهايته إلا بحرا من التناقضات كالتي نعيشها حاليا.

_ لم آتي لهنا إلا لهدف وحيد هو الإمساك بذلك المجرم. و مجرد أفكار كهذه ليست بالشيء الكبير يمكنني التعامل معها تعلم أن إقحام مشاعري الخاصة في العمل ليس من طبعي، لكنني سعيد لحضورك و مساعدتي بشتى الطرق رغم أنك لا تتقاضى أجره.

_من المخجل قول هذا لكنني مستعد للحاق بك إلى نهاية العالم. لكن في حال شعورك بالعبء يمكننا اقتسام الراتب الذي تحصل عليه.

قهقه جون فاتحا باب السيارة بعد إدراكهما لها و أردف:

_أرجوا إعفائي من هذا، لا تنسى أنني أدفع ثمن معظم وجباتك.

_هذا واجبك نظرا لعدة أسباب لا حاجة لذكرها.

رد ألبرت مغلقا باب السيارة و رابطا حزام الأمان، ثم انطلقا عائدين للمنزل.

***

١٢ مارس ٢٠١٧

٧:٠٠ صباحا

كان هيوك ينتظر بجانب المركز قدوم جون الذي أبلغه بإيجاز هاتفيا عما توصل له و ألبرت الليلة الماضية. و ما إن وصلت السيارة و ركنت بجانبه فتح الباب الخلفي بعد أن لمح ألبرت مضجعا على الأمامي لتعود السيارة لتحركها بسعة أملا في الوصول مبكرا.

سرد جون بالتفصيل ما حصل الليلة الماضية و الصدفة التي جعلتهما وسط غايتهما إلى لقائهما بالسيدة التي تكفلت بكل ما بقي.

احتوى ذلك الحي على خمس عائلات تملك نقصا في الأفراد بالإجمال و ثلاثا منها فقد الأبوين. اثنتان بدون أم و الباقية دون أي من الوالدين. الأولى عائلة جونغ تقطن البناية الأولى في الشقة ١٢٥. تتكون من طفل وحيد يبلغ الخامسة عشر ضعيف في الدراسة إلا أنه لاعب كرة قدم موهوب، والده موظف بنكي. رجل بشوش لا يتوانى في

تقديم المساعدة بما تتيح له إمكانياته. يقوم بدعم موهبة ابنه بكل ما لديه. توفيت الوالدة منذ سنة إثر حادث و رغم أن صدمة فقدانها لم تكن بالهينة إلا أنهما عملا على تجاوز الوضع و العودة لحياتهما الطبيعية. كما أن السيد جونغ يرفض الزواج ثانية حتى يصبح ابنه في الجامعة على الأقل.

الأخرى التي تعاني نفس الحالة عائلة لي كذلك تقطن بالبناية الأولى الشقة ١٢٠. مكونة من أخت كبرى في العشرين تدرس الصيدلة و لا تعود للمنزل إلا في العطل و أخ أصغر في السابعة عشر من المتفوقين في مدرسته. والدهما يدير مقهى في نهاية الشارع.

منذ انتقالهما للشقة و السيدتان على وفاق. و بينما هما تتسوقان معا للغداء حدث أن تستقلا حافلة كتب لها أن تكون تلك آخر رحلة تقوم بها. فبينما السائق يقود صادف أن تظهر أمامه من المنعطف دراجة نارية بسرعة متهورة ما جعله و بحركة لا إرادية يدير المقود ما عرقل حركة السيارات و التسبب في حادث مروري ضخم.

أما آخرهم في البناية الرابعة الشقة ٦٥ التي تحوي ابنتين الأولى في الحادية و العشرين و الأخرى في الرابعة عشر. فقدتا كلا والديهما منذ ستة أشهر خلال حريق نشب في المنزل و الفتاتان خارجا. فبينما هما يأخذان قيلولة شب الحريق و الذي لم يتنبها له إلا بعد أن خارت قواهما جراء استنشاق الغاز. كما أن أحدا لم ينتبه إلا بعد

فوات الأوان ليلفظا آخر أنفاسهما في الطريق للمستشفى. نتيجة لهذا فقد استعملت الأخت الكبرى أموال التأمين من أجل إعادة ترميم الشقة و ما تبقى منها دفعته للدراسة و بهذا لم يعد أمامها غير العمل لتأمين حاجياتها و شقيقتها.

ركن جون السيارة في موقف يبعد شارعا عن الحي المنشود و يترجلوا متجهين نحوه. قضت الخطة أن يتولى كل فرد مراقبة عائلة. بعد مناقشات قصيرة استقروا على أن يأخذ ألبرت عائلة جونغ و هيوك عائلة لي في حين تولى جون أمر الأختين. و مع أن عددهم قليل إلا أن جون قرر استخدام معدات التنصت دون أن يهتم لحقوقهم المدنية، و مع أنها كانت حركة متهورة قد تكلفه الكثير إلا أنه لم يهتم طالما أنه سيصل لمراده. كما أن عرض فكرة كهذه للمرؤوسين سترفض بكل تأكيد. لذا فقد حرص على أن لا يحوي فريق التحقيق خاصته غير ثلاثتهم.

يومها و بعد ساعتين من بداية المهمة السرية للفريق و في المكتب الأهم في مركز التحقيقات، كان الرئيس بارك يتوسط مقعده و يعقد كفيه في تفكير عميق. بدا أنه ينتظر زائرا معينا. دار في خلده العديد من الأفكار و لم يتمكن من الاستقرار على إحداها لمحاولة التفكير في حل. إلا أنه كان يعلم يقينا، توجد عقدة لو انحلت فستنساب بقية العقد كخيط حريري دون أية مشاكل. لكن تلك هي المشكلة الأهم، و هنا يكمن سبب انتظاره لزائره. و الذي أقبل إليه بعد طرق الباب ثلاثا.

وقف الرئيس بعد أن صرخ طالبا دخوله:

_ تشان ما الذي أخرك هكذا؟ تعلم جيدا أنني أنتظرك منذ فترة...

صرح الرئيس بنفاذ صبر مشيرا للمدعو تشان بالجلوس ثم تجرع كوبا من المياه دفعة واحدة. فهو رغم وصول زائره إلا أنه ليس على علم إن كان ما يحمله سيسره أم يزيد ضغطه ضغطا.

كان تشان ابن أخ الرئيس بارك شابا في الخامسة و العشرين من العمر. لكنه لم يكن مجرد شاب في مقتبل العمر. فرغم عمره الصغير فقد كان مبرمجا عبقريا ابتكر العديد من التطبيقات التي لاقت رواجا كبيرا منذ الثانوية و جعلته من أصغر الأغنياء الذين بنو ثروتهم بأنفسهم.

لكن ما أراده منه الرئيس لا علاقة له بالتطبيقات، و إنما الوجه الآخر لعمله. فكل مبرمج متمكن من عمله لن يكون صعبا عليه اختراق بعض الأجهزة الخاصة كالهواتف و الحواسيب، أو حتى كاميرات المراقبة.

طبعا شخص بمكانة الرئيس لم يكن صعبا عليه الوصول إلى كاميرات المراقبة و غيرها. لكن هذا تحت تقييد القوانين، و هنا تكمن المشكلة. فمن يرغب بالتطفل عليه ليس شخصا ضمن صلاحياته، و بالطبع لن يكون في صالحه لو تسرب الكلام عنه.

ألقى تشان بنفسه على الأريكة بجوار مكتب عمه و متنهدا بعمق. و قال:

_ عمي لدي ضغط عمل هائل و مع هذا خصصت ساعات من أجلك. تخيل أن يخرج ما قمت به لك للعلن ستتدمر سمعتي و أخسر جميع المستثمرين لدي.

_ أعلم جيدا أنك لن تترك خلفك أثرا. كما أنه ما من أحد يعلم غيرنا لذا فالوضع بخير. الآن أرني ما خرجت به.

سلم تشان الملف الذي جاء به لعمه الذي لم يتوانى في تصفحه. و مع كل تقليبة للأوراق كانت أمارات الانزعاج تزيد حتى وضعها على سطح مكتبه ثم أطلق زفرة طويلة. لم يصل به التضايق لهذه الدرجة منذ فترة طويلة.

الملف الذي أمامه ببساطة احتوى على تحركات، تفاصيل المكالمات الهاتفية و الرسائل النصية بالإضافة لمحادثة كاملة كان من المفترض أن تكون غاية في السرية. و التي لم تكن لغير فريق التحقيق الثلاثي الذي يعمل على أصعب و أعقد قضية مرت عليهم. تم الحصول عليها من اختراق أجهزة جون الشخصية.

لم يكن ما دفع الرئيس لخطوة كهذه إلا الضغط الهائل الذي يمارس عليه من طرف الجهات العليا. و طريقة العمل التي يتبعها الوافد إليهم لم تعد تروقه إلا أنه لا يمكنه طلب التراجع عنها بموجب الاتفاق بينهما، و ما من شيء يضمن بقاؤه لو طالب

الرئيس بإشرافه على مجريات التحقيق خاصة و أن القضية تتقدم منذ إقباله إليهم. و الآن علم يقينا سبب طلبه ذاك. فالحصول على أدوات تنصت و زرعها لدى مواطنين عاديين كان بالطبع سيتم رفضه. و مع أنه مدرك أن هذه الخطوة ضرورية في وضع كهذا إلا أنه ما كان ليقبل بها أبدا بموجب القانون. و الآن و هي قيد التنفيذ فقد أصبح مشتركا بالفعل و لا يمكنه فعل شيء غير الحرص على التنظيف وراءهم جيدا.

_ يبدوا أنه قد حان موعد تقاعدي.

تمتم بهدوء و هو يرخي ربطة عنقه و يستند بكامل وزنه على كرسيه.

***

قضى الاتفاق ألا لقاء بينهم حتى يصل أي منهم إلى أرضية صلبة يرتكز عليها فتكون السبيل إلى هدفهم. و هكذا دام الأمر يومين كاملين من الملاحقة المستمرة. و في منتصف اليوم الثالث ورد كل من ألبرت و هيوك اتصال من جون يطلب منهما ترك أي كان ما يفعلانه و الحضور إليه. و مبشرا بأنهم أخيرا على الطريق السوي.

دخل ألبرت محل الوجبات السريعة الذي أخبرهم جون عن تواجده به. جال ببصره بين الطاولات ليجد ضالته جالسا في أبعدها عن الباب جنب النافذة و منكبا على شطيرة البرغر بين يديه يلتهمها دون أي اعتبار للعالم الخارجي. كان أول ما لاحظه ألبرت هو

وجه صديقه شديد الإرهاق و كم الهالات السوداء التي غزت أسفل عينيه منبرة بالجهد و التعب الذي عاينه للأيام القليلة السابقة. حياه جون سريعا و عاد لمتابعة طعامه.

تنهد ألبرت ثم طلب بعض الطعام له كذلك. فحتى لو لم يكن بذلك الجوع فعليه الأكل الآن لتيقنه أنه بعد أن يفتح جون فمه لن يكون لديه و لو فرصة لأخذ نفس على راحة. لم تمضي فترة حتى انضم لهما هيوك. و بمجرد فروغهم من طعامهم باشر جون الحديث:

_ إذن صباح اليوم غادرت الفتاة الكبرى أبكر من المعتاد لكنها لم تتجه لا للعمل أو الجامعة، و إنما إلى أحد الحدائق البعيدة بعض الشيء و كانت فارغة بسبب الوقت. و هناك قابلت شابا بدا أكبر منها ببضعة سنوات بدا أنهما مقربان. قام بتسليمها علبة لم يتبين محتواها، قامت بفتحها على عجل و تناولت ما بداخلها. اتضح أنها مخدرات و بأنواع مختلفة. بعدها قضيا ما يقرب الساعتين و هما يتبادلان الحديث، و من بين ما انفلت منها أنها تعاني صعوبات بما يكفي منذ وفات والديها و فوق هذا عليها الاهتمام بكل ما يخص أختها الصغرى، و أنه تراودها منذ فترة طويلة فكرة التخلص منها. حسنا لا يمكننا التأكد تماما إن كان ذلك فعلا ما تنويه بما أنها كان قد أخذت جرعة مخدرات إلا أنه لا يمكننا التغاضي عن حقيقة أنها قد أفرجت

عنها و لو كان مجرد حديث، خاصة وأنها تتعاطى. لذا إن لم يكن هناك من خطب أو ما يثير الشكوك من جهتكما فأقترح أن نترك بقية العائلات و نركز على مراقبة هذه.

تناول جون قارورة المياه بجانبه و تجرع ما يقارب النصف دفعة واحدة. أعاد تلخيص الموضوع لصديقه باللغة التي يفهمها ثم انكب عليه متذمرا من سأمه لإعادة الكلام مرتين كل مرة، في حين انشغل هيوك في أفكاره بعيدا عنهما مقلبا كل ما انفلت من شفاه جون لمسامعه. حدق به لفترة ثم أردف:

_ جون أليس من الأفضل أن نلقي القبض عليها سريعا بما أنها تتعاطى المخدرات، حتى أنك وجدت من يسوقها عندها يمكننا ضرب عصفورين بحجر؟

_ حسنا هذا شيء كنت لأقوم به لو أنني محقق رسمي هنا... رد جون عاقدا ذراعيه فوق الطاولة و مال بجسده نحو هيوك الذي يقابله ثم تابع... كما تعلم أنا هنا لأحل قضية القاتل المتسلسل لذا فهي أولولتي القصوى و خيار كهذا لن يكون عونا لي. لنفترض أننا ذهبنا و ألقينا القبض عليها كما تقول صحيح أننا سنمنع مخططها و ستبقى الصغيرة آمنة، لكن ما الذي يضمن أن صديقنا الذي يستمر بالمراقبة بطريقة ما سيرضى؟ ما الذي يضمن أنه لن يقول شيئا كأننا خالفنا الاتفاق بما أن التهمة التي سنوجهها لها ستكون غير التي يريدها هو؟ لو كنت مكانه لفكرت بنفس الطريقة و لم

أكن لأقبل بهذا. مع كامل احتراماتي يمكنك الذهاب و اعتقال صديقها الموزع هذا ليس من شأني لكن لا تلمس الفتاة.

أنهى جون كلامه بابتسامة جانبية وجهها نحو المحقق الكوري الذي بادله بالتحديق لوهلة. لم يستطع المجادلة، ففي داخله علم يقينا أن كل ما تفوه به جون صحيح، لم يستطع المجادلة. لكنه لم يتوقع أن تكون هذه ردة فعله. فبكونهما زميلين في نفس سلك العمل جعل لديهما هدفا واحدا، حتى و لو لأجل قضيتهما الحالية لا يمكنهما تجاهل قضايا أخرى إن اعترضت طريقهما. هذا ما فكر به.

***

١٨:٢٠

تحلق المحققون الثلاثة حول أحد طاولات المطاعم و خلفهم استقرت فتاتان قبالة بعضهما إحداهما تحشوا فمها بسعادة بادية على محياها و الأخرى اكتفت بكوب عصير تتجرعه على مهل. كانتا الفتاتين اليتيمتين المنشودتين. كانت المحادثات بينهما حينها من طرف واحد، استمرت الأخت الصغرى بالكلام بسعادة في حين الأخرى بدت غير مهتمة و اكتفت بهز رأسها بين الفينة و الأخرى...

_ هل هناك شيء تريدينه أو مكان ترغبين بزيارته؟ سألت قصيرة الشعر باردة الملامح بمجرد عبورهما عتبة المطعم.

_ حسنا... قالت الصغرى بتردد غير عالمة إن كان بإمكانها الإفصاح عن رغباتها، هي لم تكن بذلك القرب من شقيقتها و الذي يسمح لها بقول أي كان ما ترغب به.

_ قولي ما تريدين و حسب دون مماطلة.. قالت بنفاذ صبر من تردد الأخرى بالإجابة.

أخفضت المعنية بصرها و راحت أناملها تعبث بطرف قميصها في توتر و أجابت:

_صديقاتي استمررن بالحديث عن رحلاتهم العائلية و التخييم في الجبال و غيرها، و أنا قد شعرت بالغيرة حقا فنحن لم نقم بشيء كهذا من قبل. أعلم أن إمكانياتنا لا تخولنا لفعل هذا لكن سأكون سعيدة بشيء مشابه...

أنهت حديثها في حين بقي رأسها مقابلا للأرض و ساد صمت ثقيل لبعض الوقت، راحت الكبرى تحدق في شقيقتها ثم أردفت:

_ لنذهب. لا يمكنني أن أعدك برحلة جبلية فخمة لكن على الأقل يمكننا التمشي على شاطئ البحر و تناول شيء ما، نحن في مدينة ساحلية أساسا.

ألقت بكلماتها على مسامع الأخرى التي رفعت رأسها محدقة في شقيقتها بامتنان و ابتسامة متسعة في سعادة تكاد تضعها فوق القمر و بين النجوم.

كل هذا تحت أنظار و مسامع الثلاثة الذين لم ينفكوا عن تتبعهما، ما جعل العديد من الأفكار تحوم في أذهانهم. و أكثرها بروزا أنهم مخطئون.

على شاطئ البحر راحت الفتاتان تسيران و تتناولان المثلجات بطعم الشوكولا بهدوء، مع أن نسمات الهواء لا تزال تحمل بعض البرودة.

و هناك على الرصيف المطل على الشاطئ وقف الثلاثة يحدقون بهما من مسافة آمنة تمنع اكتشافهم و تسمح بوصولهم سريعا في حال حدوث شيء.

ـ يبدوا الوضع أكثر من الطبيعي. حتى أنني بدأت أشعر بالخجل من التطفل على وقتهما الخاص.

صرح ألبرت بقلة صبر و ضجر واضحين بينما يتفقد ساعة معصمه، كان الوقت قد تأخر على موعد نومه و الذي تم كسره طوال أيام الملاحقة ما جعل مزاجه معكرا. ليرد عليه جون بعد أن منحه نظرة منزعجة : أنت لم تخجل أبدا من التطفل على حياتي طوال العشر سنسن الماضية فكيف لك أن تقول هذا و الآن؟.. دعنا ننتظر حتى

تغادرا لا يمكننا التنبؤ بما قد يحدث. خاصة و أن المكان خطير بعض الشيء فقد سمعت أن الصغيرة لا تجيد السباحة.

صعدت الفتاتان إلى المعبر الذي يقود إلى الجانب الأعمق من البحر و لم تتوقفا حتى وصلتا نهايته، و لبرهة بدت الكبرى قصيرة الشعر شاردة. ما تلاه حدث بسرعة منعتهم حتى من التفكير. و قبل أن يتداركوا الأمر كانت الفتاة قد سقطت في عرض البحر بينما الأخرى بقيت ساكنة و ذراعها مرفوعة. نقلت بصرها نحو موضع السقوط في الماء و لم ترى غير بقعة مياه حالكة تتخللها دوائر و بضعة فقاعات. ثم ابتلعتها نفس البقعة.

حدث هذا تحت أنظار الثلاثة المدهوشين من التسارع الكبير للأحداث، هرعوا مسرعين نحوهما. تزامنت لحظة وصولهم مع ظهور الفتاة على السطح و هي تجر أختها الفاقدة للوعي، و ما إن لمحتهم حتى صرخت طالبة المساعدة. مد جون ذراعيه و سحب الفتاة الصغرى ثم قام بتمديدها في حين ساعد ألبرت الأخرى و التي سرت بجسدها رعشة عنيفة بمجرد خروجها من الماء. عقلها كان فارغا و كل ما استطاعت إبصاره كان الجسد الساكن أمامها و الذي كان جون يجري له تنفسا اصطناعيا أملا في إبقاء روحها قبل فوات الأوان. و ما هي إلا لحظات حتى سحبت شهيقا بدا كصرخة محارب فائز في معركة ضارية.

راح يربت على ظهرها بينما تسعل الماء الذي احتبس داخلها، و هاجمها أحضان أختها التي اعتصرتها بعنق و هي تبكي ملأ صوتها...

***

في ردهة المستشفى كانت قصيرة الشعر جالسة و على كتفيها سترة ألبرت لتقيها بعضا من البرد لبلل ملابسها، و من بعيد و بجانب ماكينة بيع المشروبات وقف كل من المحققين الأجنبيين.

_ حسنا هذا تصاعد غير متوقع في الأحداث... صرح ألبرت دافعا بالنقود المعدنية رغبة في بعض القهوة عساها تبعد عنه إرهاق بدنه و نعاس عينيه.

_ معك حق. بدا جليا أنها تفكر في فعلتها منذ فترة حتى أنها أقدمت عليها، لكن أنى لها أن تتراجع حينها؟.

_ تلك الفتاة كانت محظوظة لا غير. أتعلم ما هي أكثر الصفات المعروفة و المشتركة بين البشر؟ إنها عدم القدرة الاعتزاز بما يملكون و لا يدركون قيمته إلا بفقدانه. و رغم أنها صفة معروفة أكثر من كون الشمس تشرق من الشرق إلا أنهم لا ينفكون يقعون بها..

نقل جون بصره و حدق بالفتاة بعد أن استل كوبا من الشوكولا الساكنة ثم أردف :

_ أظن ذلك راجع إلى الرغبة الغريزية و المرعبة في التعلم من الحياة لدينا، فمهما تعلمنا و سمعنا حول أمر ما؛ و لو بدوت مقتنعا هناك جزء بداخلك يداوم على الإنكار. هو ما يدفعك بغير وعي و بنوايا مخفية خلف أخرى مشروعة على الأقل بالنسبة لك للتجربة، و هذه التجربة هي من تحدد القرار النهائي.

أطلق ألبرت ضحكة خفيفة قائلا :

_ حقا لا يوجد مخلوقات مثيرة للاهتمام أكثر من البشر، كل ما عليك فعله هو الجلوس و المراقبة و لن تمل من ملاحظة أشياء جديدة. و بطبيعة الحال تعلمنا شيئا جديدا اليوم...

رفعت رأسها بعد أن لمحت كوبا ساخنا من الشوكولا يستقر أمامها لتجد الرجلين الأجنبيين اللذان ساعداها. لم تكن تدري بعد عن هويتهما بعد. تمتمت بشكر بسيط في حين سمحا لأنفسهما بالجلوس قبالتها. عبث جون بجيب سترته الداخلي و انتشل شارة التحقيق خاصته، و ما إن لمحتها الفتاة حتى اتسعت عيناها و استقام ظهرها. كانت على دراية تامة بفعلتها وأن الشرطة ستحضر قريبا للاستجواب لكنها لم تتوقع أبدا أن يكون هؤلاء الأشخاص منهم...

أعاد جون شارته لجيبه بعد أن استرعى انتباهها مردفا :

_ أظن أنه من حقك معرفة شيء بداية. تواجدنا في ذلك المكان لم يكن صدفة و إنما كنا نتبعك لفترة، فلبعض الأسباب علمنا مسبقا أنك تخططين لما حدث قبل فترة قصيرة. هذا أولا و ثانيا لأن حياتك كانت في خطر، لا شك أنك سمعتي عن القاتل الذي يتجول في المدينة مؤخرا.

انتظر لفترة حتى هزت رأسها بالموافقة ثم تابع :

_ لقد كنت أحد الأشخاص الذين شككنا أنه يستهدفهم لذا كان علينا مراقبك للتأكد من الفرضية و من أجل منع ما قد يحدث في حال إذا ما كنا على حق. و أعني بذلك حادثة الشاطئ، و يبدوا أن الحظ كان حليفنا. علمنا كذلك أنك تتعاطين الممنوعات، لكن لا يبدوا أنك مدمنة بعد. هل تستوعبين ما أخبرك به؟

سأل جون ثانية تعجبا من صمت الفتاة و هدوءها ما عدا بعضا من التعابير الخفيفة التي أبدتها، و بعد أن أومأت عاد للحديث :

_ كخلاصة. كنت مستهدفة من قبل القاتل و في نفس الوقت تخططين للتخلص من أختك. و بسبب شكنا بالأمر قمنا بتتبعك لحمايتك و شقيقتك و بهذا حققنا هدفنا، و يمكنني أن أضمن لك الآن أن لا خطر على حياتك. لا يمكنني القول أن الأمر انتهى بسلام و إنما خرجنا منه بأقل الخسائر إذ أنك الآن متورطة بتهمتين: تعاطي الممنوعات و التي قد لا تكون عقوبتها طويلة إن تبين أنك غير متورطة بأعمالها، و

كذلك الشروع بالقتل مع سبق الإصرار و الترصد مع وجود ثلاثة شهود. هذه التهمة قد تكلفك سنوات طويلة من حياتك في السجن.

ظلت الفتاة على سكوتها لكن طأطأت برأسها و على ما يبدوا أنها انشغلت بالتفكير. استند جون على الكرسي و قرر عدم إزعاجها حتى ترغب بالحديث بنفسها. و لم تمر بضعة دقائق حتى رفعت رأسها ثانية. و قالت:

_ أعلم أن ما فعلته ليس بالشيء الهين و سأتقبل عقوبتي مهما كانت... و أعلم أنه لاحق لدي للسؤل لكن، ماذا عن أختي ؟؟ إن أنا ذهبت للسجن هل سترسلونها للميتم؟

_ بالطبع هذا ما يجب أن يسير عليه الحال. أجاب جون .. صمت لوهلة ثم تابع. لدي سؤال أخير قبل وصول الشرطة أرجوا أن تجيبي عنه بمصداقية تامة.

_ حسنا.. ما هو؟. هزت رأسها موافقة و مستغربة.

_ وقتها عندما دفعتي أختك، كنت قد حصلت أخيرا على ما أردته. أنا واثق أن الوضع كان يؤرقك لفترة طويلة. لو أننا لم نتواجد هناك و أنك لم تقفزي خلفها، كانت حياتك لتكون أسهل، يمكنك حتى الحصول على أموال التأمين. صعقت الفتاة من سؤاله. لم يكن شيئا توقعته. كان من المفترض أن يسأل عن السبب وراء دفعها لا

إنقاذها. و لفترة وجيزة لم تعلم بما تجيب. لكن كان عليها ذلك، لذا تمالكت نفسها و أجابت:

_ منذ اللحظة التي توفي فيها والدانا كان الوضع في غاية الصعوبة. لم يكن لدي حتى الوقت للحزن عليهما و كان علي كسب المال من أجل أن نعيش. لم يرغب أي من أقاربنا إقراضنا البعض و لو من أجل رسوم الدراسة متحججين بأنهم بالكاد ما يجددون كفايتهم. و كونها لم تبلغ حتى الخامسة عشر لم يكن بإمكانها العمل في أي من في أي من الوظائف لذا كان علي توفير ما يكفي للعيش و كذلك مصاريف الدراسة، لذا توجب علي العمل في العديد من الوظائف و الدراسة في نفس الوقت للحصول على منحة كاملة. كان الوضع خانقا للغاية و لم أستطع حتى النوم. و في أحد الأيام راودتني فكرة، لو كنت وحدي لكان الوضع أفضل. لازمتني هذه الفكرة حتى أصبحت هاجسا لدي. اليوم قررت أن أقضي معها بعض الوقت و أحقق ما أقدر عليه من رغباتها بعدها أنفذ ما يجول ببالي. لكن في اللحظة التي رأيت فيها المياه تبتلعها فيها شعرت أن قلبي قفز خلفها و عاد لذهني كل اللحظات التي قضيناها معا، رغم أنها لم تكن كثيرة، سعادتها العارمة لمجرد وجبة بسيطة و التمشية على شاطئ البحر. و قبل أن أدرك كنت قد قفزت خلفها. و بينما أحتضن جسدها المرتعش في طريقنا للمستشفى علمت أنني كنت على وشك التفريط في آخر ما لدي و أنني ما كنت لأقوى على

العيش من دونها. لا يهم ما الذي سيحصل لي لكنني مستعدة الآن لتكريس حياتي من أجلها.

عم الصمت بمجرد فروغها من الحديث. راح ألبرت يتفحص ملامح الجالسين جانبه، فرغم كونه لم يفهم ما تقول إلا أنه لم يكن من الصعب عليه قراءة الموقف و استنتاج مسار المحادثة. وقف جون و قال :

_ أظنني حصلت على ما أرغب به. أرجوا منك الانتظار في غرفة شقيقتك حتى يتم استدعاؤك.

أومأت موافقة ثم همت بالتنفيذ بعد أن شكرته، تابعاها بنظرهما حتى اختفت داخل المصعد.

***

سار هيوك نحو الردهة بعد أن أنهى الحديث مع الطبيب حول حال الفتاة و الذي أكد أن لا خطر عليها، وجد الشابين الأجنبيين جالسين في هدوء، استغرب الوضع. دنا منهما ليجلس بجانب ألبرت و مقابلا لجون. الذي شرع بالحديث مباشرة:

_ كيف حال الفتاة ؟

_ لا مشكلة إنها نائمة و يمكنها المغادرة بمجرد أن تستيقظ. لكن ما خطب الجو هنا يبدوا غريبا بعض الشيء؟.

_ بخصوص هذا هناك ما علي إخبارك به و أريد منك الموافقة.

_ حسنا، علي أن أستمع أولا لأقرر.

_ قررت و ألبرت أن نقوم بالتغطية على ما حدث الليلة، سنقول أنها كانت مجرد حادثة تعثر و سقوط. قال جون بحزم في حين تجمد وجه المستمع إثر كلامه.

_ عفوا ؟؟ لم أفهم قصدك ما الذي تعنيه بالتغطية عن الحادث هل جننت؟ تريد مني كتابة تقرير كاذب؟.

_ استمع إلي و بعدها قرر، أريد منك التفكير بعقلانية. لقد تحدثت مع تلك الفتاة بينما لم تكن موجودا و قد تأكدت أنها نادمة أشك الندم على ما قامت به،حتى أنها تريد تكريس حياتها من أجل شقيقتها حاليا. حسنا لنفترض أننا قمنا بزجها في السجن، لن تخرج إلا بعد بضعة سنوات و لن تكون قادرة على الانخراط في المجتمع ثانية. ماذا عن أختها الصغرى؟ برأيك كيف ستعيش فتاة في الثانية عشر في ميتم بعد أن توفي والداها ثم تعلم أن أختها الوحيدة حاولت قتلها. نحن نزج بالمجرمين بالسجن لتلقي العقاب و محاولة الشعور بالذنب بسلبهم حرياتهم لكن تلك الفتاة قد حصلت

على عقابها بالفعل و تشعر بذنب عارم لذا لا داعي لتدمير حياتهما أكثر مما هي عليه...

حدق جون بملامح هيوك التي لانت و قد بدا عليه الاقتناع بكلامه، راح يقلب الكلمات في عقله. و مهما فكر لا يسعه إلا الاعتراف بأن كل كلمة خرجت من فاهه صحيحة. و مع أنه لم يستمع للمحادثة التي دارت بينه و بين الفتاة إلا أنه يستطيع الجزم أنها بالفعل نادمة. تنهد قائلا:

_ ماذا عن غريمنا؟ هل تظن أنه سيسعد أو يتقبل هذا؟ ما الذي يضمن لك أنه لن يجن ويقوم بإلغاء الاتفاق؟.

_ قضى الاتفاق أنه بمجرد أن نصل للهدف قبله فإنه سيتركه و شأنه و نحن بالفعل قد حققنا هذا الشرط. كما أنه ليس لدينا غير أن أنه نثق بأقواله.

_ فهمت. لك ذلك. أجاب هيوك بعد تنهيدة طويلة. ماذا عن تعاطي المخدرات؟

_ لا يبدوا أنها مدمنة بعد لذا سنقوم بإدراجها ضمن برنامج معالجة وستكون بخير. رد جون و قد استراحت ملامحه اطمئنانه لإجابة هيوك. أومأ هيوك موافقا. راح جون يطمئن صديقه بسير النقاش على ما يرام ثم وقفوا قاصدين الغرفة التي تحوي الفتاتين

لإبلاغ قصيرة الشعر بقرارهم. استقلوا المصعد و ضغط ألبرت على زر الطابق الخامس، و بينما هو يتحرك تحدث هيوك قاصدا جون:

_ هل لي أن أسأل؟ لما تتكبد كل هذا من أجل شخص تلتقيه لأول مرة؟.

ابتسم جون. و قال :

_ ما من سبب محدد. فقط أؤمن أن الإنسانية هي أسمى القوانين.

***

تلك الليلة لم يقبل ألبرت بأي جولات إضافية و طلب من جون أن يوصله مباشرة لشقته و غط في النوم مباشرة. و بما أنه كان على هيوك كتابة تقريره فلم يبقى أمامه خيار إلا العودة لشقته كذلك. لكن يبدوا أنه كتب عليه ألا يقضي الليلة وحيدا.فبمجرد أن وصل الطابق الذي يقطن فيه لمح مارك واقفا بجانب بابه و يحمل بضعة أكياس. كان جليا من ملامحه الضجرة أنه انتظر كثيرا.

_ ما الذي تفعله هنا. ألا يفترض بطالب جامعي أن يدرس في مثل هذا الوقت. مازحه ما إن صار بجانبه و هم بانتشال المفاتيح و دسها في مكانها.

_ لا تتحدث كوالدتي رجاء، أنهيت ما علي بالفعل و أنا هنا للاستراحة. حتى أنني أحضرت الطعام معي.

تذمر مارك و هو يدلف الشقة خلف جون، هم بترتيب الدجاج المشوي و البطاطس المقلية فوق الطاولة. في حين قهقه جون جراء رد فعله و اختفى داخل غرفته ليعود بعد لحظات بملابس منزلية مريحة.

_شكرا لهذا أشعر بالجوع رغم تناولي العشاء. شكر الأجنبي و هو يختار قطعة و يشرع في تناولها.

_ لا مشكلة. إذن ما أحوال قضيتك؟. لا أخفي عنك أنني مهتم بها منذ بدايتها و يمكنك القول أنني أقوم برشوتك حاليا من أجل المعلومات.

قهقه جون من أسلوب الآخر الصريح و الذي يجعلك تسلم ما لديك من معلومات بسهولة و أجاب:

_ حسنا يمكنك القول أنها تسير أفضل و أسرع مما توقعت. هذه معلومات سرية حتى رئيس دائرة التحقيق لا يعلم عنها لذا احرص على حفظها جيدا. تواصل المجرم معنا و اقترح لعبة. و نحن حاليا نملك الصدارة.

أمضيا ما يقرب الساعتين و هما يتسامران و يتجاذبان أطراف الحديث. و رغم إلحاح مارك للحصول على المزيد من المعلومات إلا أن جون لم يعره اهتماما. أحب كثيرا رفقة الشاب الجامعي فقد كانت تحمل من المتعة ما كانت تحمله مصاحبة صديقه

ألبرت، حيث تعذر عليهما الجلوس و الحديث كالأيام الخوالي لما عليهما من عمل و كون صديقه الكسول لا يلبث أن ينهي عمله إلا و يغادر لمنزله للنوم.

حوالي الساعة الحادية عشر غادر مارك. و بعد توديعه شرع جون في تنظيف غرفة المعيشة من الفوضى التي أحدثاها، و بمجرد انتهائه وقف بقرب النافذة و حدق لبرهة في السماء. كانت داكنة و صافية، لكن لم يكن هناك لا قمر و لا نجوم. فقط لوحة عملاقة لطخت بالسواد. حمل هاتفه، نقر بضعة نقرات ثم وضعه على أذنه و انتظر إلى أن أتاه الرد:

_ مرحبا؟ جون ماذا هناك في مثل هذا الوقت؟. قال هيوك متسائلا.

_آسف للاتصال بك في هذا الوقت المتأخر، هناك أمر سؤالك عنه... هل أنت متفرغ غدا؟.

_ حسنا غدا عطلة لذا أظن ذلك... ماذا هناك؟.

_ علي الذهاب إلى سيول غدا لبعض الأشغال و كنت أتساءل إن كان بإمكانك مرافقتي؟.

_ لا مشكلة يمكنني الذهاب. بأي وقت؟

_ لا داعي للذهاب مبكرا بما أنها عطلة. سأمر على منزلك الساعة الحادية عشر صباحا إن كان مناسبا.

_ لا بأس بهذا معي. إذن أراك غدا، تصبح على خير.

قال هيوك مودعا.

_ تصبح على خير.

أجاب جون و أغلق الخط. أعاد نظره نحو السماء. تنهد ثم أغلق الستائر و توجه للنوم.

الفصل السادس:سقوط القناع

١٣ مارس

١١:٠٥

ركن جون سيارته بجانب المبنى الذي يقطنه هيوك ليجده منتظرا على الرصيف، صعد هذا الأخير لينطلقا نحو وجهتهما.

_ صباح الخير.

قال جون لما صار الآخر بجانبه.

_ صباح الخير. أين ألبرت ظننتك أخرت الموعد لأجله ؟.

رد هيوك مستغربا.

_ كلا إنه فقط بما أنها العطلة فلا داعي للاستيقاظ مبكرا. في الأيام العادية ينام على الساعة التاسعة ليلا و لا يستيقظ إلا على الثامنة. و بما أنه في الفترة الأخيرة لم يحصل على قدره المعتاد من النوم فأنا واثق أنه سيقضي اليوم كاملا كذلك لذا لا حاجة لإزعاجه. تركت له رسالة في حال بحث عني، مع أنني متأكد أنه لن يفعل.

رد جون متذمرا من صديقه الذي يقضي نصح حياته معانقا وسادته.

قهقه هيوك قائلا :

_ حسنا لا شيء لفعله يوجد هذا النوع من الأشخاص الذين يملكون طاقة ضئيلة و يتعبون من أبسط الأعمال. رغم أنه من الغريب رؤية بالغ ينام على الساعة التاسعة. لكن ما مناسبة الذهاب لسيول ؟

_ علي إعادة أدوات التنصت التي استعملناها مؤخرا، بما أنني حصلت عليها بطريقة غير قانونية و كانت مجرد استعارة فعلي تسليمها شخصيا.

همهم هيوك متلقيا الإجابة. يستغرق من بوسان لسيول حوالي ثلاث ساعات على الطريق السريع، قضياها في الحديث عن مختلف الأمور و أخذ استراحات قصيرة أو تأمل الطريق. و بمجرد وصولهما لوجهتهما و ابتعادهما عن الطريق السريع فاجأتهم زحمة المرور التي كانت معروفة في العطل. كان الإفلات منها صعبا إلا أنهما فعلاها في النهاية ليتجها مباشرة لتناول غداء متأخر دسم في أحد مطاعم الأكلات الشعبية.

ثم و بدون إطالة غادرا صوب وجهتهم الرئيسة. محل صغير للأجهزة الإلكترونية في حي إنسادونغ. صاحبه شاب في بداية الثلاثينيات تعرف عليه جون صدفة في أحد زياراته الكثيرة، و قد كان شاكرا أنه ضل على اتصال و مقربة منه. حتى أن الشاب قدم حتى بوسان لتسليم البضاعة بنفسه. تبادلا بعض الأحاديث التي لم تطل ليغادر على وعد أن يراسله لاحقا. كان الوقت قد تأخر و الشمس بدأت بالغروب.

_ من الغريب بقاؤك على مقربة من شخص في حين أنك لم تلتقه كثيرا ظننتك شخصا منعزلا لكنك عكس ذلك على نحو غريب. قال هيوك مستغربا ما إن استقرا داخل السيارة.

_ لا علاقة لكونك اجتماعيا بالموضوع، هذا ما تحصل عليه من معاملة الناس بلطف. سيرتاحون لك و سيرغبون بمساعدتك لو احتجت أمرا ما. لقد كان في مشكلة عويصة للغاية عندما قابلته أول مرة و ساعدته على حلها. يمكنك اكتساب ود الآخرين بمجرد أفعال بسيطة.

رد جون و شغل محرك السيارة و انطلق .

لم يكن هناك الكثير مما يمكن الحديث عنه في طريق العودة، قضائهما جل اليوم معا قد استهلك كل المواضيع المتاحة. لذا فقد عم الصمت لفترة. و أخيرا قال هيوك:

_ ألا تشعر بالتعب من القيادة طوال اليوم؟ يمكنني تولي المقود مكانك ..

_ لا داعي لذلك أنا أستمتع بها لذا لست متعبا.

رد جون. و عم الصمت ثانية لثواني.

_ بما أن الطريق لا يزال طويلا ما رأيك أن أخبرك بقصة؟ بدلا عن هذا الجو الممل.

اقترح جون. صمت هيوك لفترة لاستغرابه، لما قد يخبره بقصة. لكنه لم يطل التفكير فهو سيستمع لها في جميع الأحوال. فالسؤال عادة في مواقف كهذه لا يكون لمعرفة رغبة الطرف الآخر و إنما لإبلاغه بما هو عازم على فعله. كما أن الفضول قد ساوره...ما نوع القصص التي قد يرويها أو تستهوي شخصا كجون؟.

_ لا بأس تفضل.

_ أرجوا أن تستمع جيدا و لا تقاطعني رجاء. إذن كان هناك شاب من كندا يعمل في شركة للإلكترونيات، افتتحت الشركة فرعا جديدا في كوريا و تم اختياره مع مجموعة من زملائه للانتقال لذلك الفرع. لذا و بطبيعة الحال انتقل و شرع في عمله. ضمت الشركة بعض الموظفين الكوريين، و من بينهم كانت هناك شابة أعجب بها. و لم تمضي سنة إلا و كانا قد تزوجا. مضت أربع سنوات لكنهما لم يحصلا على أطفال. بما أن الزوج عاش يتيما فقد تمنى الحصول على عائلة و أطفال لرعايتهم، لكن الزوجة كانت ضد فكرة الحمل بسرعة لخوفها على مكانتها الاجتماعية و ما سيترتب على ذلك من منصبها في العمل و الذي سعت كثيرا للحصول عليه. لكن لم يكن بإمكانها الهرب من الأمر للأبد و حملت في صيف سنتهما الرابعة معا. عندما علم الزوج بكى من الفرح و أفرط في تدليل زوجته و عد الأيام عدا إلى أن سمع أول صرخة لطفله.

حتى السنة الأولى للطفل كان كل شيء يبدوا عاديا، لكن التصدعات شرعت في الظهور. لم تعد حياتهما بتلك السعادة التي بدت عليها. شرع الزوج في ملاحظة إهمال زوجته نحو طفله الذي يمر بأكثر مرحله يحتاج والدته بها، حاول التغطية عليها و اختلاق الأعذار لها و مهما فاتحها بالموضوع كانت تتجاهله. امتد إهمال الزوجة ليطال السهر الطويل و الإفراط في الشرب رغم كونها بحاجة لإرضاع الطفل ما جعل الأوضاع تسوء بينهما و أصواتهما تعلو بالشجار كل ليلة.

وصل أحد شجاراتهما أخيرا لتفصح الزوجة عن كونها لم ترغب أبدا بالحصول على طفل و أنها تريد قضاء حياتها بالطريقة التي تريدها بعيدا عن أي التزامات و أنه السبب في الحياة البائسة التي تعيشها. بعد شجارهما ذاك حمل الزوج طفله و غادر المنزل تاركا إياها و عاشا منفصلين لسنة و نصف، كما طلب نقله للفرع الثاني الذي افتتح منذ فترة. كانت تلك السنة و النصف أسعد فترة عاشها طوال حياته. لكن ذلك لم يدم، ففجأة ظهرت زوجته ثانية تطالبه بالطلاق، و بالطبع لم يمانع.

وقع على الأوراق على عتبة المنزل بدون إطالة و أعادها لها. و بينما يهم بإغلاق الباب قالت كلماتها التي جعلت عالمه ينهار.كان قد وقع على موافقته حصولها على حق الحضانة مع عدم قدرته على رؤية طفله حتى يبلغ الثامنة عشر بسبب إبعاده عن

والدته طوال تلك الفترة. انهار و مهما حاول طلب استئناف كان يقابل بالرفض. و في النهاية لم يعد قادرا على البقاء في نفس المدينة لذا عاد لموطنه.

توقف جون و ألقى نظرة على الساعة الرقمية للسيارة، كانت تشير للثامنة إلا ربع. صمت لثوان في حين كان هيوك ينتظر منه التكملة، كانت القصة قد شدته. و لما لم يبدوا أن الآخر ينوي الحديث قال:

_ أظن أن القصة لم تنتهي بعد...

ابتسم المقصود و رد:

_ معك حق، لم تنتهي حتى الآن. إذن، لم تطالب الوالدة بالحضانة رغبة أو محبة في طفلها و إنما رغبة في الانتقام من زوجها السابق. " بما أنه أخذ مني أكثر ما رغبت به فسأفعل المثل"، هكذا فكرت. في المقابل نمى كرهها لذلك الطفل مع كل مرة تلمحه أو تسمعه بها. كان قد حصل على ملامح والده، شعره الأشقر و عيناه الزرقاوتان، كانت ترى طيفه في كل مرة يلوح الطفل أمامها. لكن رغم هذا لم لا يمكنها تركه للموت، لذا و حتى بلغ سبع سنوات كانت قد استأجرت مربية للعناية به. كان ذلك الشيء الوحيد الجيد الذي فعلته له فرغم كل شيء كبر بصحة جيدة. لكن بعدها حتى المربية ذهبت و لم يبقى بالمنزل غيرهما. كان الطفل يعاني مشاكل في النطق، و رغم أنها لم تكن بالمشكلة الشائعة لدى الأطفال في سنه إلا أنها لم تكن عويصة و

يصعب حلها. لكنها لم تحل أبدا إلا بعد سنتين. ذلك بسبب أن والدته كانت تضربه بقسوة في كل مرة يخطئ النطق فيها حتى توقف عن الكلام بجانبها. ثم زادت وتيرة الضرب لأنه لا يجيبها ثم تضربه إذا أجاب و أخطأ. و في أحد الليالي عندما كان يعاني للاستحمام بسبب الكدمات في جسده علم أنه لا خيار أمامه غير العمل على تحسين نطقه، منذ ليلتها و هو يردد الكلمات طوال الوقت لمدة أربعة أشهر حتى حلت المشكلة. لقد تحرر أخيرا و أنه لا سبب لمعاناته ثانية. أو هذا ما ظنه. لم تفشل والدته أبدا في إيجاد سبب لتحويل حياته لجحيم.

مهما درس بجد و حصل على علامات كاملة لم تكن ترضى. فاز بمسابقات في الرسم و الرياضة و لم تهتم. حتى أنه كان يقوم بكل الأعمال المنزلية منذ مغادرة مربيته دون جدوى، لذا و من أجل تجنب المشاكل قدر المستطاع تعلم منذ العاشرة كيف يقرأ ملامح والدته و يتصرف حسبا لذلك.

كانت اللحظات الوحيدة التي شعر فيها بلمسات حانية و ابتسامات دافئة منها عندما يزورها أحد معارفها فتتفنن في تقمص دور الوالدة الحنون. و عليه تقمص دور الطفل الطيب الذي لا يحب إجهاد والدته و يقدم الضيافة للحضور كي تستمتع والدته الحبيبة بجلستها. و مع تتالي السنوات كانت الأوضاع تزداد سوءا، كانت تخبره دائما

أنها لم ترغب به أبدا و أن هوس والده بلعبة العائلة السعيدة هو السبب. لذا نمى كرهه لوالده كذلك.

لما بلغ الخامسة عشر مر بسلسلة من تجارب جديدة لم يتوقعها و التي ساهمت في تغيير مستقبله كذلك. بينما كان يوصل بعض الأوراق التي نسيتها والدته لشركتها صادف في المصعد رجلا أجنبيا بدا له في منتصف الأربعينيات إلا أنه حافظ على لياقته، أطال الرجل النظر إليه دون أن ينبس ببنت شفة. لم يعره الفتى اهتماما و غادر ما إن فتح المصعد. لكن في طريق للعودة كان ذاك الرجل في انتظاره و استوقفه، كان واثقا كون لا عاملة في هذه الشركة قد تملك طفلا بملامح كهذه عدا واحدة معروفة.

كان ذاك الرجل من الموظفين الذين اختيروا للنقل مع والده و تقربا ليصبحا صديقين خلال ذلك، لذا لم يكن صعبا عليه تمييز ابن صديقه، كما كان يعلم اشتياقه لطفله. أخبره عن كل ما حصل بين والديه و أعطاه رقم هاتف والده في حال رغب بالحديث معه ثم غادر.

تردد كثيرا في ما إن كان عليه الاتصال من عدمه. بدا والده شخصا لطيفا من حديث صديقه عنه. لكنه فكر أن حتى والدته تكون لطيفة بجانب صديقاتها. و بعد ثلاثة أيام اتصل أخيرا. لم يصدق الوالد عند سماعه صوت طفله أخيرا. أخبره عن الصديق الذي التقاه و عن رغبته بالتعرف عليه. كان الوضع غير مريح في البداية و لم تدم المكالمة

أكثر من بضعة دقائق. إلا أنها زادت مع الوقت حتى أصبحت الاتصالات يومية تقربا خلالها. و قد أن الفتى تحفظ عن قول أي شيء عن والدته و اكتفى بقول أنها تعامله جيدا. و مضت سنة على هذه الحال.

لطالما تعرض الفتى للمضايقات في المدرسة بسبب اختلاف مظهره...

عندما تلفظ جون بهذه الجملة صمت ثانية، ثم ابتسم مستديرا ناحية هيوك المندمج و قال خارجا عن نطاق قصته:

_ لا يمكنك إنكار أنكم عنصريون تجاه الأجانب، خاصة في المدارس حيث التنمر شيء شائع .. لا داعي للدفاع عن نفسك كونك مغاير لا يعني أن البقية كذلك.

قوطع هيوك قبل حتى أن ينطق بحرف، إلا أنه لا يمكنه الإنكار فقد شهد على حالات مماثلة بنفسه. لذلك فقط ابتلع حروفه ليتابع الآخر كلامه:

_ كما قلت، كان يتعرض للمضايقات في المدرسة إلا أنها لم تتعدى كونها كلامية. لكن في أحد الأيام تفاقمت حتى اندلع شجار خاضه وحيدا ضد خمسة آخرين في ساحة المدرسة. و بطبيعة الحال فقد تم إلقاء اللوم عليه، و قرر استدعاء الوالدة. كان الشيء الوحيد الذي لم يرغب بحصوله. توسل كثيرا لكن إلحاحه زاد من إصرار المشرف.

و بعد ساعة كانت جالسة أمامه تحادث المدير. لم يستطع أن يرفع ناظريه عن الأرضية، من المستحيل أن يختلس النظر إلى وجه والدته في وضع كهذا. هدوءها كان الطاغي على المكان. ذلك أكثر ما يثير الرعب داخله أكثر انفعالاتها.

وصلا للمنزل، و بغرابة تناولا العشاء بهدوء. كان ذلك أشبه بسجين محكوم عليه بالإعدام لكن لم يحدد موعده بعد. ثم و بمجرد أن فرغ من التنظيف و بدون سابق إنذار انهالت عليه ضربا دون تفكير. بدت فقط كرميات عشوائية تصيب أماكن غير محسوبة، كل ضربة كانت أقوى من سابقتها. لم يوقفها إلا شيء وحيد. كان رنين هاتفه فوق الطاولة. سقط قلبه في معدته. رغب بالنهوض و تحطيم الهاتف قبل أن تطاله بدل أن ترى المتصل، لكن جسده لم يكن ليستجيب.

التقطت الهاتف. رقم أجنبي و كلمة "والدي" تتوسط الشاشة كانت كفيلة بأن تُؤجج نيران الغضب جسدها و لم تعد ترى أي شيء أمامها. و قبل أن تدرك كانت قد أحرقك أحرقت جسده بمقبض المدفئة المعدني. ثم تركته هناك و غادرت.

لم يتحرك الفتى من مكانه طول تلك الليلة، ذلك لأنه قد أغمي عليه من الألم. و بمجرد استيقاظه عاد الألم ليفتك بكامل جسده و بصعوبة تمكن من الوصول لغرفته. أخذ علبة الإسعافات من أسفل سريره و راح يعالج جسده. و لمدة أسبوع لم يقوى

على التحرك إلا مسافة ضئيلة حصرت بداخل المنزل. ثم و بعد أسبوعين من تلك الحادثة شفي جسده.

و في ليلة عاصفة للغاية حبست الجميع في منزلهم ما عداه و بعض المخبولين. تجول على غير هدى. و بينما هو كذلك حاول رجلان افتعال المشاكل معه، لم يكن شيء يجول بذهنه. و لما عاد لوعيه كان الرجلان على الأرض مضرجان بدمائهما و التي طال بعض منها وجهه و ملابسه، كان ذلك أول عمل يقوم به انقيادا خلف نفسه دون التفكير بالعواقب. بدا و كأن قوة غريبة كانت تتحكم به، لكنه لم يهتم أو يطل التفكير. فقد غمرته نشوة الانتصار.

و منقادا خلف مشاعره المبهمة عاد ركضا إلى منزله و أغلق الباب على نفسه في غرفته، شرع جسده كاملا بالارتعاش. لم ينم ليلتها و استمر عقله بالعمل و التفكير. و فجأة من العدم انبثقت فكرة بذهنه جعلت كل ما كان قبلها يندثر. لا داعي للانتظار حتى أصير بالثامنة عشر حتى أذهب للعيش مع والدي. يمكنني الذهاب الآن. ولثلاثة أيام لم يجل بخاطره غيرها، و في ليلة اليوم الثالث قام بإغلاق باب غرفة والدته و هي نائمة و قام بإحراق المنزل. استطاعت الشرطة معرفة أن الحادث مدبر إلا أنها لم تصل لمدبره خاصة و أنه حرص على تحميل جسده بعض الإصابات. توفيت والدته،

و اتصل هو بوالده ليبلغه باحتراق منزلهم، و خلال يومين كان على الطائرة المتجهة لكندا.

توقف جون لوهلة ملتقطا أنفاسه، فيما هيوك لم يستطع أن يفتح فاه بكلمة. كل ما أفصح عنه الآخر فيما يدعوه بالقصة قام بتشويش عقله. لم يستطع معرفة إن كانت حقيقة أم لا، كما لم يتبين السبب خلف أنه جون يسردها عليه. كان واثقا من وجود سبب وجيه، و قد شرعت أفكار عديدة بالولوج إلى عقله أكدت شكوكا أخرى كانت لديه. لكنه قرر الاستماع للنهاية فالتسرع لن يوصله لأي مكان .

تابع جون:

ـ طبعا لم تنتهي القصة هنا، أخشى أن الملل بدأ يصيبك لكن لا تقلق لم يبقى الكثير... ضحك بخفة ثم استرسل.. بداية كان الوالد في غاية السعادة متجاهلا حقيقة أن من أحبها يوما قد توفيت فأكثر شيء قد تمناه قد تحقق، يمكنه الآن العيش مع ولد بسلام. لكن تحقيق ذلك كان لا يزال بعيد المنال. لم يكن صعبا عليه ملاحظة الحروق و الندوب التي كانت تعلوا جسد ابنه، رغم أنه حاول إخفاءها. و لما سئل عنها كذب قائلا أنها من إصابات الحريق. لكن الوالد علم يقينا أنها ليست كذلك لقدمها الواضح مقارنة بالحروق الخفيفة الأخرى.

لم يكن صعبا عليه الوصول إلى الحدث الحقيقي لمعرفته بحقيقة المرأة التي ترك طفله معها. شعر بالغضب و الحزن و تأنيب الضمير. لذا قرر أنه سيجعل حياة ابنه أفضل. وذلك ما فعله. فقد عاش الفتى أفضل أيام حياته في كنف والده، حصل على صديق كما وجد وظيفة أحبها و سعى للوصول إليها.

لكن و في خلوته كانت دائما تراوده أفكار حول جزء من ماضيه. عن التجربة الأولى التي خاضها بعيدا عن القواعد و الشعور الذي خالجه حينها. لكن و مع مرور الوقت كانت تلك الأفكار تتلاشى. كانت تلك تجربة من الماضي الذي قرر نسيانه.

كان الطبيعي هناك أنه بمجرد وصولك للجامعة أو حصولك على عمل فإنك ستستقل عن أهلك و تعيش وحيدا، إلا أن ذاك الشاب لم يغادر حتى بعد حصوله على وظيفته. و رغم كونه مشغولا طوال الوقت إلا أنه حرص دائما على تناول العشاء مع والده و قضاء ساعتين معه على الأقل يوميا. كان ذلك قدر تعلقه بوالده.

لكن حتى ذلك لم يدم. فقد شُخص والده بمرض سرطان الدم و الذي كان في مرحلة متقدمة. و توفي بعدها بشهرين.

كانت تلك صدمة كبيرة في حياته. لكن كما قلت، هذه المرة كان لديه صديق مقرب ساعده كثيرا على تخطي تلك المحنة. و فجأة عادت تلك الأفكار لتحوم حوله. و بوتيرة أكبر مما كانت عليه سابقا حتى سببت له هاجسا و لم يعد قادرا على النوم. ثم

فكر .. "كانت حياتي جحيما بوجود والدتي لكنها تحولت لما تخلصت منها، لا شك أنه هناك الكثير من أمثالها في ذلك البلد الملعون، مما يعني وجود الكثيرين ممن يعانون ما عانيت. كيف أجرؤ على النجاة وحدي؟؟ لا شك أنهم من يناديني... علي مساعدتهم".

و هكذا عاد الشاب للمدينة التي عاش بها صغره و شرع في البحث عن ضحاياه. ثم راح ينفذ مخططه. إذن محقق هيوك ما رأيك؟ أليست قصة غاية في التشويق؟.

بهت هيوك و لم يقوى على الرد، كانت لديه شكوك منذ آخر قضية إلا أنها لم تكن قوية و كان يمكن طمسها. لكنه لم يتوقع أبدا أنه سيقدم و بكل جرأة على إخباره قصة كهذه. هو ليس أبلها حتى يعجز عن إيجاد الصدف التي يكاد يكون مستحيلا تجمعها معا. لكن يبقى جزء طفيف يدفعه للإنكار. و أخيرا و بعد فترة طويلة من الصمت تحدث:

_ ألا تصلح هذه القصة لتكون قصة حياة مجرمنا الذي أشرتَ سابقا أنه يمتلك عقدة نفسية ؟ يبدوا أنك تعرف الكثير و كأنك عشتها بنفسك..

_حسنا، هذا لأنني فعلت... أفلت جون يده اليمنى عن المقود لتستقر عند طرف قميصه و يقوم برفعه كاشفا عن جزء من جسده. و الذي طالته العديد من الحروق. و

تابع ... كانت تلك قصتي، و الشخص الذي سعيتم خلفه طوال الأشهر الماضية هو أنا. حسنا الاختلاف الوحيد هو لون الشعر لكن كما تعلم ليس من الصعب صبغه.

كان ذلك كما هائلا من المعلومات على أن يستوعبه بسهولة. كيف تحولت رحلتهما البسيطة في العطلة إلى جلسة اعتراف؟. و لما عليه أن يعترف أساسا، لكن ذلك لم يهم حاليا. يده تسللت خلف سترته و انتشل مسدسه موجها إياه نحو الآخر و قال:

_ لما تخبرني بكل هذا. أنا واثق الآن أنك شعرت بالشكوك التي راودتني، لكنها لم يكن بالشيء الكبير و كان يمكن أن أتخلى عنه في أي لحظة إن أحسنت التصرف.

_أنت لا تفهم. في اللحظة التي بدأت الشك فيها فأنت قد حللت القضية. ذلك لأنه حتى و إن أحسنت التصرف و ظننت أنك ظلمتني بشكك بي، فأنت ستبقى تراقب كل حركة تصدر مني دون وعي منك، و بما أنك على حق ففي مرحلة ما سيعود و ستقبض علي. لذا كان علي إعادة الأمور لنصابها قبل ذلك.

_ ما قصدك بإعادة الأمور لنصابها؟

سأل هيوك دون أن يبعد ناظريه عنه أو يخفف من ضغطه على مسدسه.

_ كان من اللطيف حقا مقابلتك، أنا واثق أننا كنا لنكون أصدقاء مقربين لو اتقينا في ظروف مغايرة، كما أنك الشخص الوحيد الذي استطاع الإمساك بي لذا يمكنك

الارتياح بما أنك حللت القضية. أحببت حقا استماعك لقصتي باهتمام و دون مقاطعة.

قال جون محدقا في هيوك و مبتسما.

_ ما الذي تهذي به؟

تساءل بغير فهم. ثم سمع بوق شاحنة يتتالى و يقترب. استدار سريعا للنافذة بجانبه ليراها مسرعة نحوه. ثم تحول كل شيء للأسود.

الفصل السابع: قصة صداقة

١٦ مارس ٢٠١٧

١٠:٢٠

في غرفة طغى عليها البياض و ذات رائحة خانقة للمعقمات و التي لم يتحملها ألبرت يوما، كان واقفا بجانب النافذة التي فتح منها القليل لتجنب للتقليل من الرائحة. كان واقفا و بيده كتاب يطالعه، و بين الفينة و الأخرى يرفع ناظريه لاختلاس نظرات نحو صديقه الممدد بسكون و الموصولة بجسده أنابيب و أسلاك. تفقد ساعته ثم استقام في وقفته و وضع الكتاب جانبا بعد أن حدد موضع توقفه. ثم راح يدلك مواضع عدة من جسد المستلقي.

في اليوم الذي غادر فيه جون و هيوك لسيول لم يتفقد ألبرت هاتفه إلا مساءا، فحتى لو كان مستيقظا فهو لن يلمس هاتفه ما لم يحتاجه أو يرن. قرأ رسالة جون على مهل ثم حشره بجيبه و خرج للحصول على بعض الطعام. و في طريق عودته للمنزل رن هاتفه و كان رقما غريبا و راح يتحدث بالكورية، ثم تحول سريعا لانجليزية متقنة ما إن

صرح بعدم فهمه. نزلت عليه الكلمات كانهيار صخري على شخص في سفح جبل. كانت مكالمة تبلغه بتعرض جون و من يرافقه لحادث مروري و تواجده في المستشفى.

استقل أول سيارة أجرة مرت أمامه نحو المستشفى، و لما وصل كان كلاهما في غرفة العمليات و بجانبه تواجد بعض رجلان مألوفان علم أنهما من مركز التحقيقات و زوجان كبيران في السن برفقة فتاة شابة تكهن أنهم عائلة هيوك.

ما إن لمحه الرجلان حتى أخبراه أن العملية لا تزال جارية و لا جديد عن كلاهما. ثم لم تمضي بضعة دقائق إلا و قد خرج طبيب، بضعة كلمات ألقاها و انفجرت السيدة بالبكاء بأعلى صوتها. كان إعلان توقف ساعة المحقق الكوري عن الدوران.

رأى هيوك تصدعا صغيرا في حياته، كانت تلك أول مرة يواجه فيها الموت. و رغم أنه يتعامل مع الجثث طوال الوقت إلا أنها لم تكن يوما من معارفه. لم يواجه أبدا اللحظات التي يزف إليه خبر عن عدم تمكنه من رؤية وجه معتاد مرة أخرى، رغم أن وجه هيوك لم يكن وجها عاشره طويلا، حتى أنه لم يحظى معه بمحادثة واحدة. لكن مجرد كونه شخصا مألوفا جعل في الأمر بعض الصعوبة.

و بطريقة ما اختفت كل الأفكار من عقله بمجرد فروغ الممر من عداه بعد مغادرة عائلة من لم يعد له وجود و مرافقة الأشخاص من المقر معهم. حدق بالممر و شعر

بالضيق يختلج صدره. ماذا لو أنه لم يلحق بصديقه لهذا البلد؟. ماذا لو أنه تعرض للحادث و هو وحيد هنا؟. هل كانوا ليتجاهلوه و يغادروا كما هو الحال الآن؟. أم أنهم شعروا بالارتياح لوجود أحد معارفه و تركوه معه ؟.

أيا كان السبب فقد شعر ألبرت بالقرف منهم، و تخيل شعور أن الاستيقاظ من حادث كاد يودي بحياتك و لا تجد أحدا بجانبك، ما جعل الحقد ينموا داخله تجاه من يعمل في ذلك المركز. كان على دراية تامة بكره صديقه للبقاء وحيدا. لذا و منذ وفاة والده فقد حرص على ذلك حرص الأم على طفلها. كانت تلك وصية والد جون نحوه في رسالة تضمنت ماضي صديقه الأليم. ما جعله يلحق به ركضا لهذا البلد.

مضت ثلاث ساعات كأنها ثلاث سنوات و هو ينتظر في هدوء الرواق حتى كاد يغمى عليه من التوتر. و أخيرا ظهر الطبيب الذي تحدث بالانجليزية مباشرة بعد رؤية ملامحه بأن صديقه تجاوز بصعوبة مرحلة الخطر و أنه سيحول للجناح العام. عادت روحه التي كانت تتجول حوله إلى جسده ما إن رأى صديقه ينقل إلى غرفته. لكن و رغم مرور العملية بسلاسة و عودة أجهزته الحيوية للعمل بطبيعية إلا أنه لم يستيقظ طوال ثلاثة أيام لازمه خلالها ألبرت و لم يغادر إلا لساعة واحدة لجلب ملابس له و لجون. خلال تلك الأيام الثلاثة لم يحضر لزيارته غير شاب عرفه ألبرت فورا على أنه

مارك من حديث جون عنه و الذي التزم بالحضور لبعض الوقت كل يوم و كذلك الفتاة من القضية السابقة.

اهتم بتدليك جسد جون في مواعيد محددة حتى لا تتصلب عضلاته و تصعب عليه الحركة ما إن يستيقظ. و بينما هو كذلك حتى شعر بحركة خفيفة تصدر منه و همهمة غير مفهومة. رفع رأسه سريعا نحوه ليرى جون يهم بفتح عينيه و يعيد غلقها، لم يكد يصدق نفسه و صاح سعيدا:

_ جون هل استيقظت؟ أنظر صوبي هذا أنا. يمكنك رؤيتي؟.

مكث جون للحظات ثم هز رأسه موافقا ليتابع ألبرت:

_ اسمع لقد تعرضت لحادث و لم تستيقظ لمدة ثلاثة أيام. انتظر لحظة سأنادي الطبيب ليقوم بفحصك.

هم ألبرت بالمغادرة إلا أن كف جون قبضت على ذراعه و أوقفته، فتح ثغره و بصعوبة خرجت كلماته متقطعة:

_ هيوك... ماذا عنه؟

_ للأسف، لم يتمكن من النجاة. لقي حتفه في غرفة العمليات.

لم يرد جون و أبعد كفه سامحا للآخر بالذهاب و الذي فعل مسرعا. سمع صوت إقفال الباب، أدار رأسه و حدق من النافذة بالسماء، كانت زرقاء صافية و كأنها تنبر باقتراب زوال موسم العواصف. أعاد رأسه لوضعه و ابتسم مغمضا عينيه.

***

١٣:٠٠

خرج جون من حجرة الحمام مرتديا ملابسه استعدادا للمغادرة، كان قد تعافى خلال المدة التي بقي نائما خلالها. و رغم توصيات الطبيب بالاستراحة ليومين آخرين تحسبا إلا أنه فضل قضاءهما بشقته بدل المستشفى. تفاجأ من قدرة على الحركة أسهل مما توقع، و وعد ألبرت بوجبة فاخرة مقابل صنيعه. و التي لم يرفضها الآخر بتاتا.

في طريقهما للعودة اتصل ألبرت بمارك لإبلاغه. و مرا على البقالة لشراء مستلزمات طبخ العشاء و التي يعلم عدم توفرها في شقة جون، فرغم أن هذا الأخير يفضل الطبخ على الأكل خارجا طوال الوقت إلا أنهم كانوا مشغولين طوال الوقت مؤخرا.

_ يمكنني الصعود بنفسي توقف عن المبالغة. قهقه جون و تذمر من حرص ألبرت الشديد و الذي رغب بإسناده لصعود الدرج.

بمجرد أن وطأ أرضية الشقة حتى توجه جون مباشرة للاستحمام، في حين قام ألبرت بإعادة بعض الأشياء إلى مكانها بعد أن بعثرها إبان زيارته المستعجلة السابقة. و لم تمضي نصف ساعة و كان جون قد فرغ من حمامه و انضم إلى صديقه الذي يتجول في المطبخ و يقوم بفرز مشترياته، ضحك بخفة و قال:

_ توقف عن الحركة أنت تشتتني، لم أعتدك بهذا النشاط في المنزل.

_ ماذا تريد مني أن أفعل و أنت قد سُرحت من المستشفى لتوك؟ أضفه لحسابك. صحيح ليكن في علمك أنني سأبيت الليلة هنا. صرح ألبرت و هو يهم بفتح البراد و تفقد محتوياته.

_ لا داعي لكل هذا القلق تشعرني أنني في الخامسة...

_ أنا قلق على نفسي، لن أستطيع النوم وأنا في شقتي بينما صديقي المصاب هنا وحيد. لكن هنا يمكنني النوم براحة.

_ افعل ما شئت، لا يمكنني الجدال على أية حال...

ذلك المساء حضر مارك للزيارة. انقض على جون بالأحضان بمجرد أن لمحه و راح يتلوا على مسامعه حجم القلق الذي اعتراه. و من جهته صدم جون من تقرب ألبرت و مارك من بعضهما خلال فترة قصيرة، حتى أن الطالب الجامعي رغب بالمبيت معهم ما

إن علم ببقاء ألبرت، رفض جون رفضا قاطعا و لم ينفك يكرر على مسامعه حقيقة كونه طالب جامعي و عليه المذاكرة أو النوم مبكرا للاستيقاظ، إلا أن لا ألبرت و لا مارك اهتما لرأيه و أصبحت شقته الهادئة مكتظة و صاخبة.

أعد ألبرت الطعام بينما يستمع لتذمر مارك رفقة جون من الامتحانات التي لا تنتهي. فاجأه كون مارك لم ينطق أي كلمة كورية منذ لقاءهما ما عدا لحظات انفعاله. لكن اتضح أنه أمر طبيعي نظرا لكونه طالب لغات.

كانت ليلة هادئة و دافئة. و رغم كون جون منزعجا في البداية من إقبالهما إليه بتلك الطريقة إلا أنه كان شاكرا في أعماقه. ففي هذه الليلة بالتحديد و التي تعد أول ليلة له يقضيها واعيا بعد الأحداث الأخيرة لم يرغب بالبقاء وحيدا و التفكير طوال الوقت بالزميل الذي كان عليه إلقاؤه بعيدا. لم يرد القيام بذلك، و تمنى حقا لو كانت هناك طرق أخرى. لكن لم تكن. أو ربما كانت، لكنه امتنع عن كثرة التفكير و فضل إنهاء الأمر سريعا و بأكثر الطرق فاعلية.

كان قد قطع شوطا طويلا، وصل لمرحلة حيث لا يمكنه التراجع. بل لا خيار أمامه غير المتابعة، و لا يمكنه السماح لشيء بسيط كشك زميل يرافقه كل الوقت أن يخرب كل شيء. كل هذا من أجل بعض السلام الداخلي. و كاعتذار بسيط قام بكشف نفسه رغبة في أن يفهم الآخر القليل منه، و ربما قد يعذره بعض الشيء. إلا

أنه أدرك عميقا أن هذا لم يكن إلا عزاء لنفسه لحياده عن الهدف الرئيسي و إقحام شخص غير معني. لذا كان عليه دخول الحادث معه. و لإبعاد أي ذرة شك قد تساور نفوسا أخرى.

لطالما فضل البقاء وحيدا، خاصة بعد رحيل والد. إلا أنه و في مناسبات عدة رغب كثيرا في صحبة خفيفة تبعد عنه الأجواء القاتمة التي تحوم حوله. و في كل مرة كان ألبرت يطل عليه كمن يقرأ أفكار. و لطالما كان شاكرا، كانت تلك اللحظات التي شعر فيها بالسلام الداخلي و التي قام بتقديسها. تماما كهذة الليلة. لكنها لا تدوم و غالبا ما تنتهي سريعا. و يكون عليه العودة للعالم الحقيقي و استكمال ما عليه. كان شيئا عليه القيام به. كان عليه إنقاذهم، هم من يقاسمونه الألم. لو لم يفعل فهو على يقين أن ما من أحد سيفعل. لأنه الوحيد القادر على فهمهم. كان هذا قراره و قدره.

أطفأ نار الموقد و حمل الإبريق و صب الحليب الدافئ في كأس و راح يتجرعه ببطء غسل الكأس بعد انتهائه و أعاده لمكانه. ضحك بخفة من نوم الشابين المبعثر على الأريكة. أطفأ الأنوار و خلد للنوم.

***

١٧ مارس ٢٠١٧

٨:٣٠ صباحا

كانوا قد فرغوا من تناول طعام الإفطار توا. حمل مارك حقيبته و غادر سريعا ليبقى كل من جون و ألبرت وحيدين. و ما إن صارت الطاولة نظيفة حتى طرق الباب، استغرب جون فباباه لم يطرق إلا من قبل ألبرت أو مارك. و ظن أن هذا الأخير قد عاد بعد نسيانه شيئا ما. لكنه لم يكن هو، بل شخصا لم يتوقع حضوره كليا.

ـ حمدا لله على السلامة، أعتذر عن عدم الحضور مسبقا و عن إزعاجك في الصباح الباكر.

قال السيد بارك جونسوك رئيس قسم التحقيقات في بوسان ما إن فتح جون الباب.

ـ لا مشكلة تفضل.

رد جون سامحا للزائر بالدخول، ثم استأذن للذهاب لإحضار بعض الشاي. لم يحب ألبرت حضوره و قد تذمر كثيرا و بصوت مسموع بينما صديقه يعد الشاي للضيف الغير مرغوب فيه.

ـ ليس و كأنني أتحرق شوقا لزيارته لكن لا يمكنني طرده كما تعلم. كما أنه وفر علينا عناء الذهاب إليه بأنفسنا.

قال جون منهيا حديث الآخر، حمل الصينية نحو غرفة المعيشة ليتبعه ألبرت بعد تنهيدة طويلة. تجرع الرئيس رشفة من الشاي ثم تحمحم قائلا:

_ رغم أنك كنت فاقدا للوعي إلا أنه كان علي القدوم و زيارتك، أعتذر عن هذا مع أنني من طلبت منك الحضور حتى كوريا من البداية. كان الجميع مشغولين بجنازة المحقق هيوك.

_ لا داعي للاعتذار، سأذهب بدوري لاحقا لزيارة أهله و تقديم الاحترام له. ماذا عن الحادث هل أنهيتم التحقيق؟.

رد جون بكل هدوء .

_ أجل... كان مجرد حادث عادي و قد استيقظ سائق الشاحنة ليلة أمس. بذكر هذا ما الذي أدى بكما للذهاب إلى سيول؟.

تساءل الرئيس و قد عاد للارتشاف من الشاي. بدا أن طعمه قد نال إعجابه.

_ أظن أنه ما من داعي لإخفاء الأمر... قال جون ثم صمت لفترة و تابع . لقد ذهبنا لإعادة أجهزة التنصت التي استعملناها في آخر قضية. لقد قمت باستعارتها من أحد معارفي. أظنك تعلم بالفعل عنها.

تحمحم الرئيس و هو يفرك باطن كفه في فخذه. مد يده نحو جيب سترته الداخلي و أخرج ظرفا قدمه لجون، كان مفتوحا مسبقا.

_ وجدت هذا الظرف صباحا في صندوق بريدي. وصل بطريقة عادية عبر ساعي البريد. يبدوا أنه مرسل من القاتل الذي تلاحقونه.

تفقده جون ثم قام بتسليمه لألبرت الذي فعل نفس الشيء، لم يكن بتلك الصعوبة معرفة ماهية الظرف الذي بين يديه. أعاد طي الورقة ثم قال:

_ كما ترى فقد سرح من المستشفى بالأمس فقط و قد أوصى الطبيب بمزيد من الراحة. على الأقل لن يقوم بشيء حتى الغد.

لم يكن الرئيس ليعترض على شيء كهذا، كان واضحا أنه في موقف لا يخوله الاعتراض على رغباتهم. فالمحقق الذي تولى القضية من البداية قد رحل و لا يمكنه المخاطرة بمنحهما الفرصة للتخلي عن القضية و المغادرة بما أنه أول من أخل بالعقد الذي بينهما، و الذي نص بصرامة على عدم التدخل في طرق عمله.

إبان مغادرته اقترح عليهم ضم محقق إليهما يحي محل الراحل إلا أنه قوبل بالرفض. لم يكن جون ليرغب بشخص آخر يقف في طريقه، و خاصة أن احتمال تسريبه

للمعلومات كبير. و بهذا فقد غادر الرئيس دون إطالة مع ملامح انزعاج بادية على محياه. لتنتهي الزيارة التي لم يشعر أي طرف فيها بالراحة.

***

بقي الظرف فوق الطاولة طوال اليوم دون أن يقربه أي منهما. تناولا طعام الغداء و شاهدا بعض الأفلام. و مساء اقتحم مارك الشقة حاملا جهاز ألعاب الفيديو ليمضوا ساعات طوال قبالته.

خرج أبرت من الحمام و منشفة ملتفة حول رقبته ليجفف شعره. بحث عن جون ليجده في المطبخ يهم بصب الحليب الدافئ في كأس شفافة استعدادا للنوم. كانت عادة مختلفة عن عادة تقديم الضيافة اختلافا تاما نظرا للظروف المحيطة بكل منهما: الأولى كانت ذكرى لطيفة لوالده الذي حرص على تقديم الحليب له كل ليلة قائلا أنه يهدأ جسده و يساعده على النوم. كانت شيئا طفوليا يتوقف الآباء عن فعله ما إن يدخل أبناؤهم الإعدادية، لكن بالنسبة له كانت فعلا يعكس مدى اهتماما والده و رغبته في تعويضه عما فاته. أما الثانية فقد كانت مجرد بصمة غير قابلة للزوال لمحاولاته البائسة في استمالة بعض العطف من والدته.

حول ألبرت نظره نحو ساعة الحائط، كانت تشير للتاسعة و النصف مساء. و على عكسه لم يكن وقتا معتادا لينام فيه جون. و الذي قال ما إن لمح صديقه:

_ لقد قمت بترجمة الرسالة من أجلك ستجدها فوق الطاولة، يمكنك الاطلاع عليها الآن أو غدا. أعاني من صداع خفيف لذا سأخلد للنوم. سنباشر العمل غدا.

_ لم لا ترتاح يوما إضافيا... حسنا هذا ما أرغب بقوله حقا لكنني أفضل إنهاء الأمر سريعا كذلك. لكن لا تجهد نفسك كثيرا.

أنهى جون كوبه وقام بغسله سريعا ليتجه نحو غرفته بعد أن تمنى لألبرت ليلة سعيدة. خلع الأخير عنه المنشفة و أعادها لمكانها. كان دائما يحرص على حمل دفتر و قلم معه مهما كانت وجهته و ذلك لكونه ليس من النوع الذي يستطيع التفكير بمجرد تقليب الأمور برأسه. لا يمكنه التركيز ما لم يقم بالخربشة. استلهما من جيب حقيبته الملقاة في الزاوية ثم حمل الورقة التي تحوي ترجمة الرسالة. ليشرع في قراءتها.

أعزائي فريق التحقيق،

لكم كامل عزائي على مصابكم الأخير، من كان يتوقع حدوث شيء كهذا إبان نجاحكم المبهر في أول جولة. لقد كان نجاحا مبهرا بحق. و كما وعدت فقد شطبت الفتاة من قائمة أهدافي للأبد. كانت هذه جولة سهلة إلا أن الهدف غالبا ما أشعرني بالاضطراب و لم أستطع أن أحسم أمري معه. لم تكن قد أقدمت على شيء بعد و في كثير من المرات كانت مترددة. لا يمكنك تبين حقيقة الشخص إلا تحت ظروف معينة يخيطها القدر فتظهره أمامك مجردا من أي تأثيرات أو أقنعة. و قد احتجت تلك

الظروف، إلا أن انتظارها يعني فوات الأوان. لذا فقد قمت باستغلالكم و أعتذر عن هذا. قد لا أبدوا كذلك إلا أن أكثر ما أكرهه هو إقحام أناس لا دخل لهم بلعبتي.

صحيح أن ما أصابكم مؤخرا ليس بالهين إلا أنه لا يعني أنني سأنتظر انقضاء فترة استعفائكم. لو توقفت عجلة الحياة لمجرد برهة على كل مصاب يلم بأحدهم لما كنا نشهد شروقا جديدا كل يوم. و إليكم أعزائي طبق اليوم.

" عالمنا مبني على القوانين، مخالفتها يؤدي إل كوارث لا يحمد عقباها. قد لا تكون ظاهرة

للعيان و قد لا يدركها أحد، لكن في حق الشخص الذي مسته فهي تعتبر أفظع من انفجار

بركاني، و قد يكون شخص وحيد يشغل منصبا يدعوا للمفخرة إلا أنه يتجاهل أخلاقيات عمله

و يخالف القوانين التي نصت له فقد يصبح وحشا يجر الكوارث. ضحاياها لا تكون إلا

مخلوقات نافست زبد البحر في نقائها و تقدم الحب بدون شروط. إلا أن العالم أقسى و أقذر من أن

ينصفهم فيكونون المغلوب عليهم، فقد لكونهم دون سند. "

DR. KIM M.S

كانت نهاية الرسالة. أعاد ألبرت قراءتها بضعة مرات إضافية ثم أمسك قلمه و شرع بالخربشة على دفتره. و يبدوا أنه سيؤخر ميعاد نومه مجددا.

***

١٨ مارس ٢٠١٧

١٠:١٥ صباحا

راحت أشعة الشمس الدافئة تتسلل بخفة و تتسلق المنعرجات على وجهه النائم بعد أن وجدت طريقها من شق صغير في ستائر غرفة المعيشة، توقفت لبرهة بجانب أنفه كمن براجع حساباته. هل عليها الاستمرار أو ترك هذه النفس النائمة بسلام؟ لكن ليس و كأنه يوجد خيار. لديها وقت محدد لها و موعد محدد لكل وجهة. لذا ليس لديها غير المتابعة. و هكذا طالت عينيه و ألقت بنورها عليهما، و لم تمضي ثوان حتى راح يرمش بعينيه محاولا استيعاب الوضع، ثم أزعجته الشمس ثانية فعاد لإغلاقهما. حرك رأسه تجاه الشق في الستائر و راح يتذمر بانزعاج. استيقاظه بفعل

الشمس المتسللة من الستائر المفتوحة كان شيئا لطالما مقته. يشعر كأنه يسحب بسرعة من عالم إلى آخر بدون مقدمات أو تنبيهات.

تنهد ألبرت و هو يحك عينيه لإزالة بعض من أثار النوم. و حدث نفسه قائلا:

_ استيقظت مجددا... يبدوا أنه لدي يوم آخر لأعيشه.

كانت فكرة قدرة الكائنات على النوم تثير نوعا من الرهبة المحببة لديه، كيف يمكن لشخص أن ينعزل عن الحياة و حتى نفسه لمدة ساعات ليصير أشبه بالميت؟. يعيش أحلاما حيث لا للزمان و لا المكان دور فيها. ثم يستيقظ مرة أخرى كمن عاد للحياة متناسيا كل ما رآه في ظرف بضعة ثوان. لقد رافقته في كل مرة يضع رأسه على الوسادة استعدادا للنوم فكرة أنه لن يستيقظ في الصباح الموالي. لذا و عند استيقاظه تكون فرصة أخرى له للحياة. فرصة أخرى للقيام بواجباته على أكمل وجه، و هكذا يعيش كل يوم و كأنه آخر يوم ليحرص على ألا يندم في حال عدم رؤية عينيه نور الصباح التالي.

مدد جسده ثم انتبه على بعض الضجيج القادم من المطبخ. استل هاتفه من المنضدة بجانبه و تفقد الساعة. كان الوقت متأخرا إلا أنه لم يهتم. بما أن جون لم يوقظه فهذا يعني أنه لا داعي للاستيقاظ المبكر. قصد الحمام لإزالة آثار النوم العالقة بوجهه ثم

للمطبخ حيث وجد صديقه هاما بترتيب بعض أطباق الإفطار من قهوة و مربى و خبر بالشوكولا على الطاولة.

_ صباح الخير، كنت على وشك إيقاظك.

قال جون ما إن انتبه على دخوله المطبخ .

_ صباح الخير. كم مرة أخبرتك ألا تفتح الستائر و أنا نائم؟ تعلم جيدا أنني أكره أن توقظني أشعة الشمس.

تذمر ألبرت بعد أن جلس و مد ذراعه نحو إبريق القهوة ليصب كوبا له ثم أخذ بعضا من كل ما تحتويه الطاولة.

_ الشمس تمر سريعا من ذلك الجانب لذا كان علي تشميسها. على كل لقد تركتك تنام طويلا لشحذ طاقتك الكاملة، كما أنني وجدت دفترك بجانبك في الصباح لذا أظنك اختصرت بعض العمل. دعنا نناقش هذا لاحقا.

أومأ ألبرت موافقا. جلس جون في مقعده و شرعا بتناول الإفطار المتأخر.

***

ارتمى ألبرت على الأريكة و استل دفتره، قلب بعضا من الصفحات حتى بلغ مبتغاه و ابتدأ قائلا:

_ توقعت أن يكون هناك اختلاف في طريقة صياغة الرسالة عن آخر مرة إلا أنه لم يكن كذلك.

_ معك حق. لقد اتبع نفس النمط و الذي قد يكون مزعجا التعامل معه لأول مرة لكن ليس للثانية. رد جون مؤيدا. ما النقاط التي استرعت انتباهك؟.

_ أولا و قبل كل شيء فالشخص الذي تتحدث عنه الرسالة يكون طبيبا. و قد تكرم و ترك لنا اسم العائلة الأحرف الأولى لاسمه في النهاية... ما المضحك؟

قاطعت كلماته قهقهات صدرت من صديقه جعلته يستغرب فعله فالوضع لا يحمل أيا من روح الدعابة.

اعتذر مبررا:

_ أظن هذه المعلومة لن تكون بذلك العون لنا، و قد تزيد من إرباكنا لا غير.

_ ما قصدك؟

_ الوضع هنا مختلف بعض الشيء، من المستحيل أن تجد شخصا بالاعتماد على اسم العائلة. نصف سكان كوريا يكون لقبهم "كيم" و هذا لا يعني أنهم عائلة بالضرورة. إذا جمعت عشرة أشخاص عشوائيا قد تجد أربعة منهم باسم كيم. و بنفس

الطريقة البحث عن طبيب باسم كيم مع الاعتماد على الأحرف الأولى لاسمه كالبحث عن إبرة في كومة قش.

_ حسنا فهمت قصدك. رد ألبرت بعد فترة صمت بسيطة ثم تابع. حسنا نحن لن نبحث عنه في كوريا كاملة بل فقط في بوسان حيث نحن. استنادا على الجرائم السابقة لا شك أن مسرح لعبه محصور في هذه المدينة. كما تعلم القتلة المتسلسلون لا يحيدون عن قواعدهم. أشك أننا سنجد عددا كبيرا من الأطباء بهذا الاسم في مدينة واحدة.

ابتسم جون. كان واثقا أن تمويها كهذا لن يمر على صديقه. لم يكذب حين قال أنه من المستحيل إيجاد طبيب بهذه الصفات في كوريا كاملة. و كما قال ألبرت فقد كانت حدود اللعبة هي هذه المدينة. تحمحم قائلا:

_ معك حق. يمكننا الاعتماد على بقية المعلومات من النص المرفق لمحاولة حصر خياراتنا قدر الإمكان. أمسك جون بالرسالة و تابع. لقد تحدث عن الإخلال بالقوانين و عدم التحلي بأخلاقيات العمل، إن كنت طبيبا ففي هذه الحالة ما الذي يمكنك القيام به؟

_ إهمال المرضى، تقديم خدمات غير شرعية لأصحاب المال، التوسط للحصول على العلاج على حساب من يستحقها. حسنا هناك العديد من الخيارات. و بالتمعن

بالجزء الثاني من النص و الذي يتحدث عن استغلال الأرواح النقية التي لا تملك سند فلا شك أنه يتحدث عن الأطفال اليتامى، على الأرجح أنهم مشردون كذلك فاختفاء عدد من الأطفال من دور الرعاية من المستحيل ألا يجذب الانتباه. السؤال هو ما الذي قد يفعله طبيب فاسد بالأطفال اليتامى؟ لا أظن الإجابة بتلك الصعوبة.

_ تجارة الأعضاء. قال جون مجيبا. هذا عمل يتناسب مع متهمنا تماما.

سحب جون دفتر و قلم ألبرت و فتح صفحة فارغة و شرع في الكتابة.

_ لدينا طبيب في بوسان يقوم بالمتاجرة بأعضاء الأطفال، هذا يعني أنه ليس طبيبا نفسيا. للقيام بعمل كهذا بكل ثقة يجب أن تملك صلات قوية و مكانة مرتفعة و لا تخضع للسلطة. أي أن تكون مسؤولا عن أحد الأقسام في مستشفى أو تملك عيادة خاصة. و للوصول لهذه المكانة من المستحيل أن تكون في بداية عملك لذا تقريبيا عمره فوق الأربعين سنة. هذه محض فرضيات لكنها الأقرب لما استنتجناه من الرسالة.

أخذ ألبرت الدفتر و راح يعيد قراءة قائمة المواصفات التي وضعها صديقه. أومأ قائلا: معك حق. أظن هذه القائمة ستساعد في حصر عدد المشتبه بهم إلى حد كبير. دعنا نتجه لقسم التحقيقات و نطلب قائمة بمن تستوفيهم الشروط، رغم أنني لا أفضل الذهاب لذلك المكان .

***

يحدث كثيرا في التجمعات المهمة و التي يحضرها عدد من الشخصيات أن تعم الفوضى الكلامية و يصير من غير الممكن سماع ما يقوله من بجانبك ما لم يرفع من صوته، ثم ينفتح الباب لتعبر منه الشخصية الأهم في التجمع فتطبق جميع الأفواه و كأن الأمر يتم بمجرد كبسة زر. و نشهد حادثة مماثلة عند تجمع عدد من النساء في مكان واحد و تتخلف إحداهن لتصير موضوع القيل و القال بينهن إلى أن تقبل فيصمتن. ثم تغادر هذه الأخيرة فيعدن لإتمام ما بدأن به بملاحظات جديدة. و رغم التشابه الجلي بين الظاهرتين إلا أنه توجد فجوة سحيقة تفصلهما. فالفم يبهت بدافع الاحترام و التقدير في حضور شخصية ذي مقام عال و محترم و هذا من الآداب. و قد يبهت كذلك عند مرورك بموقف تلزمك فيه الحاجة إلى ذلك. ذلك لأنك تعلم في أعماقك أنك لم تقل خيرا.

و لم يكن من الصعب معرفة أن الموقف الثاني هو الذي يصف و بدقة كبيرة الحال في مركز التحقيقات بمجرد أن وطأته أقدام المحققين الأجنبيين، عم صمت خانق. لكن أيا منهما لم يهتم و تابعا طريقهما مباشرة نحو مكتب الرئيس. طرقه جون ثلاثا و ما إن سمع الإذن بالدخول حتى مد يده ساحبا المقبض. ألقى التحية بسرعة ثم وضع قائمة المواصفات المعاد كتابتها بشكل مرتب و قال:

ـ يرجى البحث و إعداد قائمة بمن توافيهم هذه الشروط في ظرف ساعة. وددت القيام بالعمل بنفسي بما أنني قلت هذا مسبقا إلا أنني لا أزال شخصا غريبا و بالطبع لن يسمح لي الولوج لقاعدة بيانات بلدكم.

ألقى الرئيس نظرة متفحصة على الورقة ثم أومأ و رد :

ـ سعيد لتفهمك دون الحاجة للحديث. سنقوم بتجهيز القائمة بأسرع ما يمكن و إرسالها لك.

أومأ جون شاكرا ثم غادر و ألبرت المكتب. تنهد الرئيس بعمق، مؤخرا أصبح يشعر أنه مثقل و يمارس الجميع عليه سلطة غير مشروعة. من جهة الأوامر العليا لا تكف عن إزعاجه و تحميله ذنب الفوضى التي تحدث في المدينة و كونه عمد حل القضية لمحقق أجنبي و هذا ما سيؤدي إلى أن ينال كامل الفضل و يظهر السلك الأمني الكوري بمظهر الغير كفؤ، و من جهة أخرى وفاة المحقق هيوك و اضطراره للتعامل مع جون بنفسه. و في مركز هذه المعمعة كان هو واقفا. و لولا حس المسؤولية الذي جعله يستمر كل تلك السنوات و يصل لمقعده الحالي لكان قد قدم استقالته منذ فترة.

مد يده نحو الهاتف المثبت في مكتبه و بضغطة كان قد وصل مع المسؤول عن قسم البيانات.

لم تمضي ساعة حتى كانت الملفات قد وصلت إلى حاسوب جون بينما ينتظرانها في أحد المقاهي، كانت مختصرة أكثر مما توقعا و لم تحتوي إلا على أربعة أسماء. كيم مين سونغ، كيم ميونغ سون، كيم ميونغ سو و كيم مين سو. كانوا جميعا أطباء جراحين بتخصصات مختلفة و يتمتعون بسلطة كبيرة في المستشفى الذي يعملون به، فمنهم من كان رئيسا لأحد الأقسام و منهم من كان أسهما في المستشفى. كما جميعهم امتلكوا سجلات حافلة بالإنجازات، و من أول نظرة لن تصدق أن أحدهم قد يكون متورطا في أعمال كالمتاجرة بأعضاء الأطفال.

استل ألبرت من حزمة الأوراق ملفا كان قد لفت انتباهه، كان يخص كيم مين سونغ طبيب جراح و رئيس قسم جراحة العظام في مستشفى، ملفه نظيف و حافل بالانجازات إلا أنه كان فيه طفرة شوهته بعض الشيء. منذ خمس سنوات و قبيل استلامه لمنصب رئاسة القسم كان يقوم بجراحة لأحد المرضى و وقع في خط طبي أفقد المريض القدرة على الحركة. و رغم أن حادثة كهذه من المفترض أن تكلفه منصبه إلا أنه لم يتلقى أي نوع من العقوبات.

رفع ألبرت حاجبه باستغراب، مد الملف نحو جون مشيرا نحو الجزء الذي استوقفه و الذي فكر للفترة ثم قال:

_ دعنا نباشر معه.

أومأ ألبرت موافقا. جمعا أغراضهما و غادرا. لم يكن المستشفى الذي يعمل به المقصود بذلك البعد حيث يقع في مقاطعة نامجو و التي تبعد مسافة نصف ساعة، و هو المستشفى نفسه الذي نزل به جون بعد الحادثة.

لم يكن من الصعب الحصول على المعلومات خاصة من أفواه الممرضات اللواتي يحببن الثرثرة، كل ما عليك فعله هو إعطاؤهم طرف الخيط و هن سيتكفلن بالباقي دون ترك أية تفاصيل. و في كثير من الأحيان لم يحتج أبدا لإظهار شارة التحقيق خاصته.

قصة الخطأ الطبي أحدثت ضجة كبيرة في المستشفى وقتها و كانت معجزة أن الصحافة لم تصب اهتمامها عليها، و رغم أنه كان واضحا أن الخطأ حدث من قبل الطبيب كيم مين سونغ إلا أن الذنب حمل لأحد المتدربين الذين أجروا العملية معه و تسبب ذلك في إيقافه عن العمل لثلاثة أشهر. و هذا ليس إلا لكون الرئيس التنفيذي خال مين سونغ.

قضيا ما تبقى من اليوم في النبش خلفه بالإضافة لكيم مين سو. و الذي صادف أن يكون رئيس قسم أمراض القلب في نفس المستشفى. تنقلا من المعارف إلى المرضى السابقين إلى صحفيي الفضائح، لكن دون جدوى. كان ملفهما نظيفا تماما ما عدا حادثة مين سونغ.

بحلول الساعة الثامنة مساءًا و اندثار خيوط النور مخلفا سماءًا حالكة تتخللها العديد من السحب الرمادية، كانا قد فرغا من القسط الأكبر من العمل. و بينما كان جون يقوم بشطب أسماء من قابلوهم و يعدد من تبقى تسللت لمسامعه صوت تثاؤبات ألبرت المتتالية. أغلق الدفتر و شغل السيارة التي استأجراها صباحا بدلا عن التي تحطمت في الحادث، و قال:

_ دعنا نكتفي بهذا اليوم، كلانا متعب و لا داعي لإرهاق أنفسنا أكثر من اللازم.

غمر ألبرت نفسه في المقعد و كأنه سرير بلحاف دافئ و رد:

_ قرار حكيم. قد بحذر و لا تستعجل من المفترض أن رأسك لا يزال يؤلم.

_ لا بأس به الآن، لكن حسنا سأقود بحذر. و قبل أن أنسى حقيبتك في المقعد الخلفي.

_ أخبرتك بالفعل أنني لا أنوي البقاء في شقتك لفترة طويلة. يا لك من وغد ناكر للجميل توقف عن التصرف كأنني متطفل في حين أنني قلق عليك.

_ أنت تبالغ في قلقك و أنا شاكر له لكنه يصبح خانقا خاصة بما أنني تحسنت.

أنهى جون كلماته و أوقف السيارة بجانب المبنى الذي يقطنه ألبرت. لم يكن بذلك البعد منذ البداية. استدار بجسده و التقط حقيبته من المقعد الخلفي مردفا:

_ على أية حال لا تعرج على أي مكان، اذهب مباشرة للبيت و احرص على تناول الدواء و نم باكرا.

_ أرأيت؟ هذا بالضبط ما أتحدث عنه. لتغادر فقط تصبح على خير، و يرجى الاستيقاظ مبكرا غدا.

قال جون كلماته بينما يدفع الشاب خارج السيارة و يغلق الباب. و ما إن فرغ حتى لوح لصديقه مودعا و غادر.

قام بركن السيارة في الموقف بجانب البناية التي يقطنها و ترجل منها. حدق بالسماء، كانت الغيوم تزداد و الرياح تشتد بوتيرة ثابتة. صعد سريعا لشقته و مباشرة اتجه نحو غرفته، في زاوية الغرفة كانت هناك خزانة من التي تحوي بضعة أدراج مقفلة داخلها. استل مفتاحا صغيرا من جيب بنطاله الخلفي و فتح الدرج العلوي منها. و من كومة الهواتف النقالة المكدسة هناك التقط أعلاها و قام بتشغيله ثم و سريعا أرسل رسالة قصيرة. غير ملابسه لأخرى رياضية رمادية اللون و دس الهاتف في جيبه ثم اعتمر قبعة سوداء، حمل حقيبة ظهر من زاوية الخزانة و غادر.

لم يستقل السيارة و إنما اكتفى بالسير و معتمرا الطاقية المتصلة بقميصه. بعد مسير ساعة كاملة كانت السماء قد حجبت بالكامل بفعل السحب و عدد الناس قد قل من حوله. و في زقاق ضيق بين عمارتين في أحد الأحياء الفقيرة دخل و سار بضعة

خطوات، و على بعد عشرة أمتار رأى تحت وطأة الظلام ظلا واقفا و ظهره متقوس كمن يحمل هموم الدنيا فوق كتفيه. لم يكن من الصعب عليه معرفة أن ذلك لم يكن غير هدفه، ظهر خط ضوء في السماء مع صوت رهيب صاحبته انتفاضة سريعة في جسد الرجل من بعيد و شرعن الأمطار في الهطول.

ظل جون واقفا مكانه ما يقرب العشر دقائق يراقب من بعيد حركات الآخر المتوترة. و لما اشتدت الأمطار أكثر نزع حقيبة الظهر خاصته و استل سكينة صغيرة المقبض و النصل. وضع الحقيبة أرضا و تقدم بهدوء كما ساعد الضجيج الناتج عن غزارة الهطول بإخفاء الباقي من صوت وقع أقدامه. تقلصت المسافة بينهما حتى صارت مجرد خمس خطوات و عندها استدار الرجل و لمح جون واقفا أمامه. تفاجأ للحظة ثم باشر الحديث بتوتر:

_ لا شك أنك من راسلتني صحيح؟ اسمع لن أسأل عن الطريقة التي علمت بها لكن لنعقد صفقة ما رأيك؟ أنا مستعد لدفع أي مبلغ تريده و يمكنني الدفع على المدى البعيد ما لم يحدث أي شيء خارج عن الطبيعي. في المقابل كل ما عليك هو عدم إخبار أحد و أخذ السر معك إلى القبر. ما رأيك تبدوا صفقة جيدة صحيح؟

حاول الرجل بأفضل ما لديه للسيطرة على ملامحه و إيحاءات جسده كي لا يبدوا في متوترا إلا أن نبرة صوته و لعثمة لسانه خانته.

_ لست بحاجة لمالك. كما أنه لم يعد سرا بعد الآن.

و قبل أن ينطق الرجل بأي حرف آخر كان جون قد قبض على كتفيه ثم ثبت رأسه و مرر السكينة على عنقه. ليكون آخر ما انفلت من حنجرته مجرد صرخة مكتومة. و هوى على الأرض مضرجا بدمائه.

تخبط جسده بضعة مرات ثم توقف تماما عن الحركة منبرا بانفلات الروح منه. حدق جون بالجثة الهامدة أمامه لفترة، كما راقب الدماء الممزوجة بقطرات المطر و هي تتسرب على الأرض الإسمنتية. و شعر و بكل وضوح بدفء السائل الأحمر الذي يكسوا يديه و بعضا من وجهه. كان الشعور مشابها لأول مرة. الراحة و الدفء انسلا بهدوء لأعماقه و لم يستطع منع ابتسامة كبيرة من أن تغزوا وجهه، تحولت الابتسامة إلى قهقهات خفيفة استمرت لوهلة. ثم قرر أن عليه العودة بعد أن شبع من التحديق و حفظ الشعور و المشهد بعقله. أحضر حقيبته و أخرج قارورة مياه لتنظيف يديه و وجهه. ثم أمسك بأخرى و فعل المثل مع الجثة بجانبه، حرص على تنظيفها حتى آخر قطرة ثم قام بتغيير ملابسه إلى أخرى جديدة و لما فرغ طوى القديمة و وضعها جانبا ثم جعل الجثة تستلقي على ظهرها. أخرج من جيب حقيبته ظرفا صغيرا ملفوفا بغلاف بلاستيكي لمنع البلل و دسه داخل قميص الجسد المستلقي.

وقف و حدق بتمعن بالمنظر أمامه، كان كل شيء في مكانه. حرص على إعادة جمع كل حاجياته و تفقد المكان مرتين إضافيتين لتجنب أي حوادث ثم غادر الزقاق من مخرج غير الذي دخل منه.

***

١٩ مارس٢٠١٧

٨:٣٠

أغلق جون باب شقته و دس المفتاح في جيبه، و خلال تجاوزه الطوابق التقى بمارك و الذي كان يعمه نشاط كبير و بدون أن يُسأل صرح مباشرة عن فرحته الشديدة بانقضاء فترة الامتحانات. تبادلا بعض الأحاديث الجانبية و اقترح جون إيصاله للجامعة بعد أن يمر على ألبرت.

كان ألبرت ينتظر في الموعد المحدد بمحاذاة الطريق، وبمجرد صعوده السيارة صارت صاخبة بشكل لا يطاق بفعله و الطالب الجامعي. و عاد الأخير للحديث عن نهاية الامتحانات و الرحلة التي قرر و أصدقاؤه القيام بها. و لم تمضي نصف ساعة حتى أدركوا بوابة الجامعة فارتجل مارك بعد توديعهما و غادر. و عاد الهدوء ليخيم على الجو.

أدار جون عجلة القيادة ليتابع الطريق. إلا أن هاتفه رن. كان اتصالا من رقم غير مسجل، كان رقما كوريا إلا أنه لم يتبين مالكه. رد متسائلا:

_ مرحبا جون ستيف يتحدث. من معي؟.

_ سيدي معك المحقق كيم سونغيو. تم العثور صباح اليوم على جثة لرجل في أحد الأحياء و يرجح أنها تخص قضية القاتل المتسلسل. سأرسل لك الموقع يرجى الحضور.

_ حسنا سأكون هناك.

أقف جون الخط و أدار المقود مغيرا مسار السيارة. و لم تمضي ثوان حتى اهتز هاتفه منبرا عن

وصول الرسالة، تفقدها سريعا ثم أعاده لمكانه. سأل ألبرت الغير عالم بما يجري:

_ ماذا هناك؟ من الذي اتصل؟

_ لقد عثروا على ضحية جديدة اليوم. يبدوا أننا لم نوفق هذه المرة.

خلال ربع ساعة كان جون و ألبرت قد وصلا لوجهتهما. كان المكان مزدحما من طرف الشرطة التي تطوق المكان و كذلك الأعين الفضولية التي تتربص بكل الزوايا

من مسرح الجريمة. انسلا من بين الجموع و دنوا من الجثة الملقاة أرضا بعد إظهار شارة التحقيق و كان في استقبالهما المحقق سونغيول الذي اتصل آنفا.

جلس ألبرت و شرع في تفحص الجسد الملقى أرضا فيما راح جون يستمع لتقرير من سونغيول:

_ الضحية كيم ميونغسو ٤٧ سنة، طبيب جراح و رئيس قسم أمراض القلب في مستشفى بوسان الجامعي. عثر عليه على الساعة الثامنة صباحا من قبل موظف خلال اتجاهه للعمل حيث مر من الزقاق لاختصار بعض الطرقات.يرجح أن وقت الوفاة بين الساعة الثامنة و التاسعة و النصف.

توقف لوهلة و أخرج من بين كومة الأوراق التي يحملها ظرفا صغيرا سلمنه لجون قائلا:

_ وجدنا هذا الظرف داخل قميصه.

وقف ألبرت و راح يتابع جون و هو ينزع الغلاف البلاستيكي و يفتح الظرف. و الذي احتوى على ورقة صغيرة مطوية مرة واحة، احتوت كلمة وحيدة لا غير و بنفي الخط المتعرج "انتهينا". ثاني شيء كان بطاقة ذاكرة صغيرة، و لم يحتاجوا حقا للإسراع في الاطلاع عليها فقد كان هذا جليا.

_ لا شك أنها تحوي الدليل على تورط كيم ميونغسو في أعمال المتاجرة بأعضاء الأطفال. قال ألبرت بهدوء ليومئ جون موافقا.

ألقيا المزيد من النظرات الفاحصة على مسرح الجريمة و تفحصا وضع الجثة و الصور الملتقطة لها، و بعد أن أوصى جون بتزويده بتقرير الطبيب الشرعي في أقرب الآجال عادا أدراجهما نحو قسم التحقيقات.

استغرقا ما لا يزيد عن عشر دقائق للوصول إلى وجهتهما، و مباشرة استقر جون و ألبرت في المكتب و قام بتشغيل بطاقة الذاكرة. إحتوت على العديد من الصور و مقاطع الفيديو للأطفال الذين تم الإجرام بحقهم، منهم من اتسخ كامل جسده بدمائه و تركت فجوة مكان صدره نتيجة انتزاع قلبه، و منهم من هشم جسده بالكامل بعد أخذ كافة ما يملك سواء عينان، قلب، أو كلى. و في النهاية كدسوا جميعا في شبه غرفة لتُشكل صورة كانت لتكون الجحيم فوق الأرض لو وجد.

تنهد ألبرت بعمق، كانت الصور تبعث الكآبة في النفس و قد شعر أن صدره قد ضاق.

_ الجحيم فارغ، كل الشياطين هنا. أظن شكسبير أدرك فعلا حقيقة العالم الذي نعيش و نتقاتل لأجله. قال ألبرت.

_ معك حق، هم هنا.

نقر جون على الملف الوحيد بجانب الصور و الذي ضم ملفات الأطفال اشتملت على الاسم و المكان الذي أخذوا منه و صورة لهم و أخيرا العضو الذي سلب منهم. قام جون بتفقد كل على حدة و كذلك ألبرت الذي عاد اهتمامه بعد اختفاء تلك الصور.

و بينما هما كذلك إذ بأحد المحققين يدنوا منهما راكضا و كأن حياته تعتمد على ذلك، تقطعت أنفاسه حتى ما كادت الحروف تعلق بحلقه. أخذ نفسا عميقا و قال:

_ هناك شاهد لجريمة مقتل الطبيب.

وقف جون فاغرا فاه و علت ابتسامة كبيرة تقاسيم وجهه في حين طالعه ألبرت مستفسرا.

_ يقول أن هناك شاهد. يبدوا أننا خطونا خطوة أكبر يا ألبرت.

لم يشأ ألبرت أن يبالغ في سعادته قبل الاستماع لأقواله. إلا أنه شعر ببعض الراحة فمهما كانت تفاهة المعلومات التي يقدمها قد تكون مفيدة في بعض الحالات. توجها سريعا لمقابلته. كان شابا في مقتبل العمر بدا في أوائل العشرينيات بجسد طويل و صحي و هالات واضحة غطت أسفل عينيه. وقف ما إن لمح المحققين قادمين نحوه و ألقى التحية.

_ تقول أنك شاهد على الجريمة؟ سأل جون على عجل.

_ في الحقيقة لم أشهد الجريمة مباشرة لكن أظنني رأيك المجرم. بالأمس و حوالي الساعة التاسعة ليلا كنت مارا من الشارع المقابل لذلك الزقاق عائدا للمنزل بعد مقابلة صديقي، الشارع مضاء لذا رأيت بوضوح رجلا يخرج منه و يتصرف بغرابة، كان يتلفت كثيرا حوله و هو يسير مسرعا ثم ركب سيارة أجرة و غادر.

_ إن كنت لاحظت تصرفاته الغريبة فلما لم تتفحص المكان الذي خرج منه؟ قال جون ثانية.

_ أنا بطبعي لست شخصا فضوليا و أهتم بشؤوني الخاصة فقط، لم أكن لألاحظه أصلا لولا غرابته. كان لدي بعض الأعمال البارحة لذا سهرت طويلا و لم أستيقظ مبكرا. و لما فعلت كان الجو متوترا في الحي و عند علمي بما حدث أدركت أنه ربما المجرم هو من رأيته ليلة البارحة فحضرت مباشرة لتقديم شهادتي. لدي ذاكرة جيدة لذا أتذكر معظم ملامحه و كذلك الشركة التابعة لها سيارة الأجرة.

_ يا إلهي هذا عظيم. عظيم. أرجوا ألا يكون هناك ما يشغلك فقد نضطر لإبقائك في ضيافتنا لبعض الوقت. كان الشاب متعاونا للغاية و لم يتوانى في تقديم أية معلومة. و بعد ساعتين كان جون يحمل بين يديه صورة تقريبية للمشتبه به رسمت اعتمادا على المعلومات المقدمة حول ملامحه، شكر الشاب مرة أخيرة عند باب المركز ثم توجه

رفقة ألبرت نحو سيارته. كانت الوجهة نحو مقر فرع شركة أوبر و التي تملك سيارة الأجرة التي استقلها المشتبه به ليلة أمس.

_ مهلا جون. قال ألبرت بعد أن تخلف عن صديقه ببضعة خطوات، استدار المنادى و حدق في الآخر منتظرا ما سيقوله.

_ لا أظن أنه يمكنني مرافقتك هذه المرة، لا أشعر أنني بخير.

_ ما بك؟ هل من شيء خطير؟ تساءل جون بقلق.

_ ليس كذلك. لكن أشعر بالدوار و لا أظنني سأتحمل جولة في السيارة و لو كانت قصيرة. سأبقى في الحديقة للحصول على بعض الهواء النقي و سأنتظر عودتك هناك.

_ حسنا. يمكنك العودة للمنزل إن لم تشعر بتحسن.

_لا. قال ألبرت بحزم. سأنتظرك اتصل بي فور عودتك.

_حسنا فهمت. لك ذلك.

قال جون ثم استدار و استقل السيارة وانطلق. وقف ألبرت مكانه يراقب ظلها يتضاءل حتى اختفت من مجال نظره. عندها غادر بدوره.

في طريقه للحديقة مر على المقهى و اشترى عصير برتقال كبير الحجم. اختار مقعدا يمَكنه من مراقبة الملعب و الأطفال الذين يتقافزون هنا و هناك. عاد بذاكرته إلى

اللحظات التي كان فيها بمثل عمرهم. العمر الذي من المفترض أن يكون فيه الطفل في أقصى مراحل نشاطه. كان لديه العديد من الأصدقاء الذين التفوا حوله بسبب شخصيته المشرقة و قدرته على إلقاء النكات. إلا أنهم لم ينفكوا ينصرفون عنه بسبب عدم رغبته باللعب كثيرا و الذي كان يستهلك الكثير من طاقته. لطالما كان شخصا كسولا.

كذلك كان الوضع لبقية حياته، لطالما قضى العديد من الأوقات في المنزل بدل التسكع مع أصدقائه خارجا. حتى سمع والدته أحد الأيام تحدث والده عن جارهم في المنزل المقابل و الذي أحضر ولده للعيش معه. شعر بالفضول لمعرفة كيف يبدوا إلا أن الشاب لم يخرج من منزله طوال الأسبوع. أول مرة التقاه فيها كانت أثناء توجهه للمدرسة حيث صادف جون رفقة والده و اللذان كانت لهما نفس الوجهة، لم يكن جون يعرف الطرقات بعد وقتها فاقترح ألبرت أن يوصله كي لا يتأخر الوالد عن العمل. و من لحظتها شرعت صداقتها بالتعمق و بأبسط المواقف و النشاطات. أحب ألبرت كثيرا وجود صديق مثله لا يفضل الخروج كثيرا و هكذا قضيا معظم أوقاتهما يتنقلان بين المدرسة و منزليهما.

ابتسم ألبرت من الذكرى اللطيفة التي مرت بباله، كانت شيئا دافئا أحب استحضاره من فترة لأخرى. لكن مؤخرا استبدلت هذه الذكريات بأخرى. إذ لا تنفك لحظات

انهيار جون و الأيام المريرة التي عاشها كلاهما خلال تلك الفترة بالظهور أمام عينيه حتى صارت تعكر الكثير من مزاجه. قبلها لم يظن يوما أن صديقه الهادئ قد تنتج عنه انفعالات كتلك رغم علمه التام بمدى تعلقه بوالده و الذي كان يمثل كل شيء في عالمه. مرات كان يضل ساكنا دون حركة مركزا في الفراغ و في أخرى كان يهتاج صارخا و يحطم كل ما أمامه. أحيانا ينام يوما كاملا و كأن الروح فارقت جسده و أحيانا أخرى لا يغمض له جفنا لعدة ليالي. لكنه و بشكل غريب حرص على تناول الطعام بانتظام و بالشكل الكافي. كان ذلك كافيا لألبرت ليشعر ببعض الاطمئنان.

كان شهرا لازمه فيه ألبرت أن كأنه ظله، حدثه جون خلاله بضعة مرات معتذرا منه عن المشاكل التي يسببها له. و غيرها لم ينطق بشيء مما يخالجه. ثم و أخيرا شرعت نوباته تقل و حالته تستقر إلى أن عاد لطبيعته. و من يومها لم يتطرق أي منهما للحديث عن تلك اللحظات السوداوية في حياتهما.

إلا أنه لم ينسى و لو للحظة. وقتها علم أنه الشخص الوحيد المتبقي لدى جون. كما أنه أدرك ثقل الدور الذي أوكل إليه و قرر التعايش معه لما تبقى من حياته، إسناد شخص لا يملك غيرك في هذا العالم. أصبحت فكرة بقاء صديقه وحيدا تشكل هاجسا لديه لا يقدر على تحمله. و قد لا يكون هذا من أجل جون فقط و إنما لنفسه كذلك، هو لن يبرح جانبه مهما كانت الظروف التي عليه التعامل معها.

***

اتصل جون بألبرت بعد ساعتين من مغادرته يخبره أنه قد عاد للمركز و معه كافة المعلومات عن المشتبه به و لم يبقى غير التوجه للقبض عليه. كان صديقه بانتظاره عند البوابة الخارجية رفقة مجموعة من الشرطة و ما إن لمحه حتى أعطى الأمر بالانطلاق نحو وجهتهم قبل أن يفقدوا مكانه.

لم يكن البحث عن السائق بتلك السهولة، إذ كان عليهم الاتصال بكل من كان في مناوبة ليلتها– بالطبع لم يكونوا قلة– و طلب حضورهم لمقر الشركة ثم سؤالهم فرادى عن المشتبه. لكن بعد تلك النقطة غدا كل شيء أسهل إذ أن السائق الذي أقله تعرف عليه بمجرد لمحة واحدة في الصورة التقريبية و تذكر بوضوح المكان الذي أقله إليه. و الذي كان مبنى سكنيا فاخرا من خمسة عشر طابقا. عند سؤال حارس البناية قال أن الرجل اسمه بارك يوتشون و يعيش في الشقة مائتان و ثلاثون. و أنه طبيب جراح في مستشفى بوسان الجامعي.

عند هذه النقطة اتصل جون مباشرة بالرئيس و طلب تجهيز مذكرة اعتقال ثم عاد للمركز. اعتقال الطبيب أحدث ضجة كبيرة على صعيد المستشفى، و رغم سعي المدير باستمالة لمنع تسرب الخبر إلا أنه انتشر كالنار في الهشيم. و قبل أن يصلوا إلى المركز كانت المدينة كاملة قد علمت بالخبر.

في غرفة مظلمة إلا من مصباح صغير في السقيفة، جلس الطبيب بارك يوتشون و جون تفصل بينهما طاولة خشبية وضع عليها حاسوب محمول. كان المتهم متعرقا عرقا باردا و يتجنب النظر بوجه المحقق قبالته الذي انهمك على تدوين بعض الأمور في الحاسوب.

_ إذن دكتور بارك. هل تعلم ما سبب إحضارك لهنا؟ قال جون بعد رفع عينيه عن الشاشة و صوبها تجاه الرجل المرتبك.

_ أنا لا أعلم شيئا. رد بتوتر و تقطع.

_ حسنا إذن. التهم الموجهة إليك كثيرة لكن دعنا نتقدم ببطء. أنا واثق أنك على علم بمقتل زميلك في المستشفى الطبيب كيم ميونغ سو. و بشهادة شاهد عيان كنت الشخص الذي غادر مسرح الجريمة في وقت حدوثها ما يجعلك المشتبه به الأول و الوحيد.

_ لا هناك خطأ. صحيح أنني ذهبت إلى هناك لكن عندما وصلت كان ميونغسو ميتا بالفعل أرجوك صدقني. قال الطبيب يهلع محاولا تخليص نفسه.

_ لنفترض أنك كلامك صحيح. من المستحيل التواجد في مكان كذلك صدفة خاصة و إن كان بعيدا عن مقر سكنك أو عملك؟ إذن ما الذي دفعك لتكون هناك في مثل ذلك الوقت و كذلك لأن تهرب دون حتى التبليغ عن الجريمة.

_ كان هناك شخص. أجاب بتوتر و تقطع بعد أن تردد كمن يفكر. اتصل بي مساء و طلب مني مقابلته في ذلك المكان و التوقيت، صدقني كنت أتعرض للتهديد.

_ بماذا؟

_ هذا...

صمت الطبيب لفترة متحفظا عن الإجابة. و بعد أن مل جون هدوءه قال:

_ حتى لو تبين أنك صادق في كلامك فأنت ستسجن مدى الحياة في أحسن الأحوال. و تعدم في أسوئها، هل تعلم لماذا؟

راح جون يرقب وجه من يقابله بهدوء، و رغم الإضاءة القليلة لم يكن صعبا عليه ملاحظة لونه الذي شحب كمن سحب منه كافة دمه، جسده شرع في الارتجاف و أسنانه اصطكت بعنف حتى خيل للمحقق أنه قد يعُظ لسانه في أية لحظة.

_ يبدوا أنك أدركت الأمر. لقد ثبتت عليك تهمة المتاجرة بأعضاء الأطفال رفقة زميلك المغدور، لقد تم إرسال فريق لتفتيش منزلك حاليا و نحن ننتظر بعض الأخبار. و في جميع الأحوال بفضل أن تفكر في محامي قد يقبل الدفاع عنك. سادت بينهم لحظات ثقيلة خانقة من الصمت شعر خلالها الطبيب بالهواء يتحجر داخل حنجرته.

كان قد أدرك أنه قد سقط في هوة عميقة لا قاع لها، لا شيء للتشبث به، و حتى إن وصل للقاع فستكون النهاية. كانت نهاية أيامه الهانئة.

لم تمضي فترة إلا و دخل عليهما ألبرت الذي غادر مع الفريق لتفتيش المنزل و في يده ملف ضخم سلمه لجون ثم غادر ثانية. راح يقلب أوراقه و يتمنع بالصور التي معه، لم يكلف نفسه عناء التحقق من جميعها فبعضها كاف و يفي بالغرض، وضعه على الطاولة بجانب الطبيب و عقد ذراعيه محدقا فيه، و الذي راح يطلع عليه بتوتر. ثم قال:

_لم تريني هذا؟

_ هذه الملفات تخص ضحايا القاتل المتسلسل الذي نلاحقه منذ فترة، كما ترى تحوي أدق التفاصيل عنهم من أسمائهم و أماكن سكناهم إلى تقرير تفصيلي حول أماكن تواجدهم و خصوصياتهم، زميلك كان أحد ضحاياه. و قد وجدنا هذه الملفات في منزلك.

_ لا هذا غير صحيح. أقسم أنه لا علاقة لي بهذا الموضوع. وقف المتهم هلعا و هو ينكر التهمة الموكلة إليه. أرجوك صدقني، صحيح لا شك أنه هو. ذلك الشخص الذي اتصل بي لأقابله يوم مقتل ميونغ سو لا شك أنه فخ للإيقاع بي.

_ هذا شيء لسنا من نقرره و إنما القاضي.

وقف و جمع الملفات من الطاولة و حمل الحاسوب مغادرا. توقف للحظة لما وصل للباب، ثم استدار نحو الرجل المضطرب و قال:

_ اسمعني جيدا. نحن في عالم حيث يخاف الناس من الجهل لذا فإنهم يتبعون الدلائل لطمسه و يؤمنون حد العبادة بما يصلون إليه. كون جميع الدلائل تشير إليك لا يعني بالضرورة أنك الفاعل لكنك كذلك في نظر العالم الجاهل، و ما لم يظهر ما يبرؤك فستظل كذلك. وفي جميع الأحوال لست ببريء بما أنك أزهقت بالفعل العديد من الأرواح البريئة، إضافة بعض الأعناق المذنبة لن يغير شيئا، ستظل العقوبة نفسها سواء كنت القاتل المتسلسل أم لا. أقول هذا فقط حتى لا تتصرف على أنك الضحية أو شخص مظلوم.

و غادر مباشرة دون أخذ أي نظرة نحو الرجل المنهار.

كان ألبرت بانتظاره مسندا بظهره للجدار المقابل للباب و يحمل بيده بضعة صور. تساءل جون عن ماهيتها فأظهرها له قائلا: إنها من يوم تعرضك للحادث رفقة الراحل هيوك. أعدت البحث في كاميرات المراقبة على الطريق و قد أظهرت سيارة مشبوهة في مكان الحادث متوقفة لفترة، و لم تغادر إلا بعد الاصطدام. اتضح أن السيارة تخص ذلك الطبيب بالداخل.

_ فهمت. قال جون و هو يقلب الصور واحدة تلو الأخرى. حسنا هذه القضية انتهت بالنسبة لنا و كل ما بقي هو تجهيز الملف و تسليمه للرئيس.

الفصل الثامن: النهاية

٢٧ مارس ٢٠١٧

" مر أسبوع منذ إلقاء القبض على المجرم كيم و الذي وجهت له العديد من التهم، و قد أدلى مكتب الادعاء تصريحه بشأن القضية، قائلا أنه عمل مع زميل له في المتاجرة بأعضاء الأطفال بعد قتلهم دون أية رحمة. لكن السيد كيم أراد أن يستأنف العمل وحيدا طمعا في المال الوفير الذي كان يدر عليهما، فقام باتباع خطة محكمة لقتل بعض المدنيين ليبدوا الأمر كعمل قاتل متسلسل إلى أن وصل إلى هدفه الحقيق المتمثل في زميله ليجهز عليه في ليلة ١٨ مارس. و تعتبر هذه القضية من أكثر..."

بهت صوت المذيعة و عم الهدوء بعد أن أدار جون زر الصوت في مذياع السيارة. كان رفقة ألبرت عائدين من الحكمة بعد أن حضرا محاكمة الطبيب، و الذي حكم عليه بالإعدام. و رغم مرور أسبوع إلا أن القضية لا تزال الشغل الشاغل لأفواه الناس التي لا تصدق وجود حدث جديد إلا و لا تنفك تثرثر بشأنه.

على الرغم من انقضاء فترة عملهما هنا إلا أن جون لم يرغب بالعودة إلا بعد حضور المحكمة و الاستماع للحكم بأذنيه. و حقيقة فقد كانت أياما مريحة لم يتوقع أن

يعيشها فوق الأرض التي احتوت أحلك أيامه، مع أنه لم يقم بشيء عدا التنقل بين شقته و خاصة ألبرت كما اعتادا دائما. بالإضافة لزيارات مارك المتكررة. كان قد تملكه شعور غامر بالهدوء و السكينة، و كأنه عاد سنوات للوراء، للوقت الذي تمحورت فيه حياته على الحنان المفرط من والده و اللحظات الممتعة مع صديقه و أكواب الحليب الدافئة.

لم يحتج الأمر الكثير من التفكير، كان يعلم أن هذا ليس إلا لكونه قد أنهى ما عليه. حقيقة قرر التوقف، كان يعلم يقينا أن مطاردة أشخاص كأولئك عملا أبدي مهما صفيت منهم فهم يتكاثرون كالذباب. لكن كل شيء مرتبط بعقل الإنسان فما دام قادرا على تقبل فكرة و الإيمان بها فستتجلى أمامه كحقيقة لا يمكن إبطالها. و هذا ما عمل عليه. أراد أن يؤمن أنه قد طبطب على جروحه بما فيه الكفاية و الآن أن الأوان للتقدم خطوة أخرى.

و من أجل هذا فقد أعد كل شيء بدقة حتى تنتهي اللعبة المأساوية بطريقة لا يخسر فيها شيئا. لكنه لم يعلم أن إنهاءها بهذه الطريقة قد يخلف هذا الأثر المشبوه بالراحة و النشوة. اليوم الذي أقيمت فيه المحكمة كان آخر يوم قرر جون قضاءه في كوريا للأبد، لم يعتزم العودة ثانية. و تبعا لهذا فقد راودته فكرة مجنونة ما إن فتح عينيه

صباحا لم تخطر على باله من قبل رافقتها رغبة عامرة في تنفيذها. استنكر ذلك بشدة. لكنه علم أنه لن يهنأ بالرحيل ما لم يفعل.

أوقف السيارة أمام مبنى شقة ألبرت و أخبره أن لديه عملا مستعجلا و لن يأخذ من الوقت الكثير ثم غادر.

ركن في الشارع المطل على أبعد نقطة من الشاطئ حيث لا يكاد يتواجد به أحد. سار قليلا حتى كادت المياه التي تتقدم بخجل و تعود أدراجها سريعا أن تلامس أطراف حذائه.

كان متعارفا لدى الكوريين حرقهم لأجساد موتاهم و تجميع الرماد في جرة يكتب عليها اسم الميت ثم توضع في مكان مخصص بجوار العديد من مثيلاتها، لكن البعض كان يفضل نثر الرماد في أحد الأنهار أو مصبات المياه أو حتى دفن الجرة في منزلها. و هذا ما قد فعله جون، و بالذات في هذه المنطقة قام بنثر رماد والدته. مكان عشوائي كان في طريق العودة من المستشفى التي بقي فيها تلك الليلة.

وقف هناك لفترة طويلة بهدوء. لم يرغب بالاستعجال لذا لم يتساءل حتى كم بقي هناك، رغب فقط بالوقوف هناك حتى يكتفي. ظل واقفا دون التفوه بكلمة إلا أن دواخله كانت في حالة فوضى، و بغير إدراك راح يسترجع كل لحظات حياته. مرت أمامه و كأنها عرض بطيء لأحد الأفلام رديئة الصنع. ثم انقبضت معدته بمرور صور

ضحاياه. كان ملما بحقيقة كونه مجرما خسيسا و مهما كانت حجته فهي ليست كافية لإزالة اللون الأحمر من يديه و أنه سيحاسب عاجلا أم آجلا.

شعر بحكة في أنفه و حرقة في عينيه، كانتا قد اغرورقتا دمعا إلا أنه أبى أن يشق طريقه نحو خديه. أخذ جون نفسا عميقا و أعاد استرجاع تلك القطيرات المالحة. صدر ضجيج اخترق الصمت قادم من هاتفه، كان اتصالا من ألبرت. ابتسم بخفة، يكاد يقسم أن هذا الشاب ساحر من نوع ما.

_ نعم. ماذا هناك؟ رد جون.

_ جاء مارك يقول أنه سيمضي الليلة هنا بما أننا سنغادر في الصباح الباكر. أسرع بالعودة.

_ حسنا أنا قادم.

أغلق الخط و أعاد الهاتف لجيب بنطاله. ألقى نظرة أخيرة على الشاطئ ثم استدار مغادرا، سار بهدوء بين الرمال إلى أن وصل إلى الأرضية الإسمنتية تجاوز الرصيف ثم حطت قدماه على الشارع ليعبره عائدا نحو السيارة. كان الشارع عريضا. ثم و من العدم سمع صوتا مزعجا بالإضافة لاحتكاكات. و خلال جزء من الثانية استغرقه ليدير رأسه ليتبين مصدر الصوت شعر بصدمة هزت كامل أنحاء جسده و جعلته يتخبط

صعودا و نزولا ثم سكن. تشوشت الرؤية أمامه و لم يعد يبصر غير بضعة ألوان باهتة و متداخلة و شعر بشيء دافئ يتسرب من مواضع الألم لديه. عندها دارت بخلده فكرة أخيرة ." حدث هذا عاجلا. أعجل مما توقعت. و يبدوا أنني غير قادر على تقبله".

استطاع سماع بقايا أصوات تسللت بصعوبة إليه إلا أنها لم تلبث أن تختفي مع أشباه الألوان التي كلن يبصرها. و استبدلت بالهدوء و الظلام. و لم يفتح جون ستيف عينيه ثانية.

تمت

نبذة عن المؤلفة

الاسم: ياسمين بعطوش

المؤهل الدراسي: طالبة جامعية

الجنسية: جزائرية

الأعمال السابقة:

– قصة قصيرة بعنوان "المُذْنِب" ضمن الكتاب الإلكتروني الجامع "قصص وحككايات" عن دار قصص وحكايات للنشر الإلكتروني . 2019

– ليس لها أعمال سابقة منفردة.

دار
قصص وحكايات
للنشر
الإلكتروني